من المعجم البيانى
لألفاظ القرآن الكريم
« الأول »

الإتيان والمجىء
فقه دلالتهما واستعمالهما
فى القرآن الكريم

الدكتور محمود موسى حمدان

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على ملائكته وأنبيائه وخاتمهم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

وبعـــد ..

فإن اللغة العربية لغة تأمل ، وفكر ، وروح معاً ؛ أما إنها لغة تأمل فلأنها لا تعطى مقادها إلا لنابه فطن ، يكون بها حفياً ، يتحسس ألفاظها ، وتراكيبها ، وأغراضها ، منشئا ومتلقيا ، وأما إنها لغة فكر فلأنها محكومة بضوابط ، وخصائص ، ودقائق ، فى مفرداتها وتراكيبها ، وجميع متصرفاتها ، وأما إنها لغة روح فلأنها وثيقة الصلة بالوحى الإلهى ؛ لأنها لغته التى يتبدى فيها إعجازه البلاغى .

وهذه الدراسة فيها من التأمل ، والفكر ، والروح معاً . فقد بدأت تأملاً فى تركيب لغوى جاء على لسان عربى قح ، ثم هداها الفكر إلى تحرير مسائل ، وتقرير حقائق ، وإثبات فروق بين فعلين جاءا فى التركيب .. ثم هى جدت فى أن تكون شواهدها لإثبات هذه الفروق فى الدلالة والاستعمال من القرآن الكريم .

وقد بدأت الدراسة للفعلين بدءا مختصرا محدوداً فى بعض المسائل والمباحث ، مكتفية ببعض الشواهد لتحرير القول فى كل مبحث ؛ إذ كنت على أن تظهر فى مقال بدورية كلية اللغة العربية بالمنوفية .

لكن عندما عرضتها على أخى العلامة الأستاذ الدكتور محمود توفيق رئيس قسم البلاغة والنقد بالكلية ، لما له من فقه العلماء ، وألمعية البلغاء ـ ليبدى ما يعن له من ملاحظات ـ نصح فى تعليقه أن تقدم هذه الدراسة فى كتاب مطبوع ؛ لتعم به الفائدة ، فنزلت عند رأيه وجاءت فى صورتها هذه .

والرجاء معقـود على الله (جـل وعلا) أن يرزقنا حسن الفهم عنه ، والفقه فى هذا الباب .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

محمود موسى حمـدان

مدخـــل

قد يمر على المرء الزمان الطويل ، وهو يرى فى الشىء رأياً ، ويقضى فيه حكماً ، ثم يلوح له أن الأمر على خلاف ما رأى ، وأن الحق فيه غير ما قضى .

من ذلك ما كنت أظنه من اتفاق الفعلين « جاء » و « أتى » فى المعنى ، دون فارق بينهما ، إلى أن كنت ذات يوم أقرأ خبر ربعى بن عامر ـ رضى الله عنه ـ مع رستم قائد الفرس وحاشيته ، قبل موقعة القادسية .

فقد أرسله سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ رسولا إلى رستم قائد جيوش الفرس وأميرهم عند دعوته رسولا من العرب يخبره أمرهم ؛ فدخل عليه ربعى ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابى والحرير ، وأظهروا اليواقيت واللآلىء الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ، وعليه تاجه ، وربعى عند ذاك بثياب صفيقة ، وترس ، وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه ترسه وبيضة على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك . فقال : إنى لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتمونى ، فإن تركتمونى هكذا ، وإلا رجعت [1] .

وقفت هنا أتأمل قوله : إنى لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتمونى ؛ إذ أتى بالفعلين : (جاء) و (أتى) متجاورين نافياً أحدهما ، مثبتاً الآخر ، مما يدل على أن بين الفعلين فارقاً فى الدلالة يميز أحدهما عن الآخر ؛ لأنه لا يستقيم فى عقل نفى الشىء وإثباته فى واقت واحد ، وباعتبار واحد .

اتجهت إلى القرآن الكريم أنشد من هذا شواهد ، تدل على وجود الفارق بينهما ، فوجدت فيه شواهد كثيرة .

---

(١) ينظر الخبر فى : تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى : جـ ٤ ص ١٠٦ ، وفى الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣١١/٢ وفى القادسية ومعارك العراق ص ٥٧٤ لمحمد باشميل وفى كتاب معالم فى الطريق للشيخ سيد قطب ١٨٣ .

من ذلك ـ على سبيل المثال ـ قول الله تعالى : ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .

ففى الآية تعليق الإتيان علي المجيء ، وهذا دليل واضح على اختلاف الفعلين فى المعنى ؛ لأن الشيء لا يعلق على نفسه .

ومن سبيل ذلك ـ أيضاً ـ قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) .

فإنه لو كان الفعلان متفقين فى المعنى لما رتب الإتيان بالشيء على صدق دعوى المجيء به ؛ لما فيه من تحصيل الحاصل .

وبهذا الذى ذكرناه يندفع ـ أيضاً ـ من أساسه أن يقال : إن مجيء الفعلين متجاورين يكون لتنويع العبارة ، فضلا عن دفعه بشواهد كثيرة تكرر فيها ذكر أحد الفعلين مرة أو مرتين .

من شواهد ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ، قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (٣) .

فقد ذكر الفعل (جاء) فى الآية مرتين ، وكذلك كرر فى قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾ (٤) .

ومن تكراره مرتين قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُم رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ ، فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) .

---

(١) الأعراف : ١٠٦ .
(٢) الشعراء : ٣٠ ، ٣١ .
(٣) المائدة : ١٥
(٤) فاطر : ٤٢ .
(٥) المائدة : ١٩ .

ومن شواهد تكرار (أتى) قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) . فقد جاء الفعل (أتى) فى الآية مرتين بلفظ الماضى .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ، أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٢) . فقد ذكر الفعل مرة بصيغة المضارع ، وأخرى بصيغة الماضى .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ، يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (٣) ، فقد ذكر الفعل (يأتى) أربع مرات فى الآية .

وكذلك ينتفى أن يكون مجىء أحد الفعلين فى آية ، مجىء الآخر فى آية أخرى نظيرة لها ـ للتنويع ، والاستطراف ؛ لأن الشأن فى ذلك أن يكون لمناسبة كل فعل منهما لمساق الآية التى جاء فيها ولمقامها .

من ذلك قول الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) . وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٧) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨) . وقوله تعالى : ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (٩) .

---

(١) الأنعام : ٤٠ . (٢) التوبة : ٧٠ . (٣) الأنعام : ١٥٨

(٤) طه : ١١ . (٥) النمل : ٨ . (٦) القصص : ٣٠ .

(٧) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ (٨) الصافات : ٨٣ ، ٨٤ (٩) سورة ق : ٣٢ ، ٣٣ .

بهذه الشواهد وغيرها يمكن لنا أن نقول : إن مجيء أحد الفعلين فى مكان دون آخر لا يكون إلا لكونه هو المناسب لمقام الآية ومساقها ، وعليه يكون المسلك المرضى عند فقه المعنى من الآية قول الخطيب الإسكافى : « إذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظة مخصوصة ، ثم أعادها فى موضع آخر من القرآن ، وقد غير فيها لفظة عما كانت عليه فى الأولى ـ فلابد من حكمة هناك تطلب ، فإذا أدركتموها فقد ظفرتم . وإن لم تدركوها ـ فليس لأنه لا حكمة هناك ، بل جهلتم »[1] .

بهذا المنهج سندرك ـ بحوله تعالى ـ من خلال تتبع شواهد الفعلين (أتى ـ وجاء) أن بينهما فرقا فى الدلالة والاستعمال ، وأنه لا يصلح أحدهما مكان الآخر ليؤدى المعنى الذى أداه ، كما أنه لا يسوغ الزعم بأنهما مترادفان ، إلا أن يكون بالنظر إلى المعنى العام الذى يجمعهما وهو مطلق الانتقال والحركة ، وهو ما يتجه إليه المفسرون ـ فى الغالب ـ عند شرح الآيات وبيان معناها ، وعذرهم فى ذلك أن التفسير ينحو منحى الإفهام والإبانة على سبيل التقريب بالكلمة الكاشفة ، لا على أنها والكلمات القرآنية سواء ؛ لأنه ما كان لبشر أن يأتى بآية من مثله .

من ذلك ـ على سبيل المثال ـ ما قاله الزمخشرى عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾[2] .

قال : وَلا يأتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل فى البطلان إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذى لا محيد عنه ، وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالاتهم[3] .

فالمدقق يلحظ ما بين الكلام المعجز ، وما قاله الزمخشرى من فرق ، يرجع إلى إحكام استعمال الفعل (جئناك) فى الآية ، دون استعمال الفعل (أتيناك) فى كلام الزمخشرى .

ومنه ـ أيضاً ـ ما قاله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل : ص ٢٠ . (٢) الفرقان : ٣٣ .
(٣) الكشاف : ٩١/٣ .

إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ، لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ، فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١) .

قال الزمخشرى : « جاءك الحق من ربك ـ أى ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق ، الذى لا مدخل فيه للمرية » (٢) .

ذلك أننا سنرى ـ بعد ـ أن (الحق) لم يأت معه إلا الفعل (جاء) فى جميع شواهد القرآن الكريم ؛ وذلك لنكتة سندركها هناك ، « وبعد » فقد بات واضحا أن هذه الدراسة تتجه إلى فقه استعمال الفعلين (جاء ، وأتى) ودلالتهما ، وقد اختارت أن يكون مجال استشهادها القرآن الكريم ، وجدت فى أن يكون ذلك تناولا مستقصيا لجميع شواهدهما فيه ؛ إدراكا منها أن استشفاف روح العربية ، ومزاجها ، وخصائصها فى مفرداتها وتراكيبها يكون بجهارته ووضاءته مع شواهد القرآن الكريم ، لأن عمود البلاغة فيه يقوم على « وضع كل نوع من الألفاظ التى تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذى إذا أبدل مكانه غيره جاء منه : إما تبدل المعنى الذى يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة ؛ ذلك أن فى الكلام ألفاظا متقاربة فى المعانى ، يحسب أكثر الناس أنها متساوية فى إفادة بيان مراد الخطاب ، كالعلم والمعرفة ، والحمد والشكر ، والبخل والشح ، وكالنعت والصفة .... والأمر فيها وفى ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك ، لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها فى بعض معانيها ، وإن كانا قد يشتركان فى بعضها » (٣) .

وإيماناً منها ـ أيضاً ـ بأن استقراء الفعلين فى جميع مواضعهما التى جاءا فيها فى القرآن الكريم ، وتحديد ظاهرة استعمالهما فى سياق الآية الخاص والسياق العام فى القرآن الكريم ـ حسب الجهد ـ يساعد على فقه المعنى البيانى للفعلين ، ويفتح لنا باب البدء فى وضع معجم بيانى لألفاظ القرآن الكريم .

---

(١) يونس : ٩٤ . (٢) الكشاف : ٢٥٣/٢ .

(٣) بيان إعجاز القرآن للخطابى ضمن ثلاث رسائل : ص ٢٩ .

وثمة أمران تجدر الإشارة إليهما :

الأول : أننا نذهب إلى أن « القول بدلالة خاصة للكلمة القرآنية لا يعنى تخطئة سائر الدلالات المعجمية ، كما أن إيثار القرآن لصيغة بعينها لا يعنى تخطئة سواها من الصيغ فى فصحى العربية ، بل يعنى أننا نقدر أن لهذا القرآن معجمه الخاص ، وبيانه المعجز .

فنقول : إن هذه الصيغة أو الدلالة قرآنية ، ثم لا يعترض علينا بأن العربية تعرف صيغا ، ودلالات أخرى للكلمة » [1] .

الآخر : أننا بمدارسة شواهد القرآن الكريم واستقرائها ثبت أنه لم يأت من مادة (ج ى أ) إلا صيغة الماضى لا غيره دون المضارع والأمر والمشتقات ، خلافاً للفعل (أتى) فقد جاء فى القرآن الكريم ، وكذلك مضارعه وأمره واسما الفاعل والمفعول .

وسأبين ـ بعون من الله تعالى ـ الوجه فى ذلك حسب ما يتجلى لى بعد التدبر ، غير مكتف بإرجاع ذلك إلى سهولة الإتيان بالمضارع والأمر ـ من (أتى) وصعوبة الإتيان بها من (جاء) .

يبقى لى أن أذكر حقيقة قد يكون فيها بسط العذر عما قد يكون من تقصير فى بيان معنى أو فقه وجه من وجوه الاستعمال . هى : أنه لم يتوفر لى من كتب التفسير ما يسعف الرغبة فى بيان دلالة الفعلين ؛ إذ إن علماءنا ـ رحمهم الله ـ قد اتجهوا كثيراً إلى تفسير معنى أحد الفعلين بالآخر ، دون أن يبينوا أو يشيروا إلى فقه استعمالهما فى المواضع المختلفة ، وما يؤديه سياق الآية من دلالة خاصة دون غيرها من الدلالات المعجمية المتعددة .

وكان أهم ما تيسر لى ما ذكره علماء اللغة من المعانى المعجمية التى تدور حولها مادتا الفعلين ، والتى لخصتها فى صدر هذه الدراسة ، لكنها ـ كما هو معلوم ـ لا ترمى إلى معنى فرد معين ، فى سياق تأتى فيه الكلمة ، ومقام خاص من المقامات المتعددة .

---

(١) التفسير البيانى للقرآن الكريم : ٨/١ .

وقد تمثلت هذه الدراسة فى مباحث تضمنت ما يأتى :

المبحث الأول : سهولة الإتيان وصعوبة المجىء .

المبحث الثاني : المجىء عن دعوة .. والإتيان دون دعوة .

المبحث الثالث : الدلالة على النفاذ بالإتيان دون المجىء .

المبحث الرابع : المعانى التى لها مزيد اختصاص بأحد الفعلين .

المبحث الخامس : الإتيان بالمضارع والأمر والمشتقات من (أتى) .

وإلى الله التوجه والرجاء أن يرزق إشراق النفس ، وعمق التدبر ، والإصابة فى الفهم ؛ لنصل إلى ما يليق بكلامه ، ويرضيه فى جلاله وعلاه .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله صحبه وسلم .

* * *

المعانى اللغوية لمادة الكلمتين

١ – الإتيـان :

ـ قال الراغب : « الإتيان مجيء بسهولة ، ومنه قيل للسيل المار على وجهه : أتى وأتاوى ، وبه شبه الغريب ، فقيل : أتاوى ، والإتيان يقال للمجيء بالذات ، وبالأمر ، وبالتدبير ، ويقال فى الخير وفى الشر ، وفى الأعيان والأعراض » [١] .

ـ ولسهولة الإتيان يقال : تأتى له أمره ، إذا تسهلت [٢] .

ـ ويتصل بالسهولة معنى الاستجابة والمطاوعة ، فالمواتاة حسن المطاوعة والموافقة ، وفى الحـديث : « خير النسـاء المواتية لزوجها » قال ابن خالويه : ما أتيتنا حتى استأتيناك [٣] .

ـ وفى الإتيان معنى الجهة المعينة ، يقال : أتى الأمر من مأتاه ومن مأتاته ، أى من جهته التى يؤتى منها [٤] .

ـ ويتصل بذلك معنى الترفق ، يقال : تأتى فلان لحاجته ، إذا ترفق وأتاها من وجهها [٥] .

ـ ومن معانيها الكثرة ، قال الفراء : أتت الأرض والنخل أتوا ، وأتى الماء إتاء أى كثر [٦] .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن : ٨ (٢) المفردات : ٩ والصحاح : ٢٢٦/٦ ولسان العرب : ٢١

(٣) لسان العرب : ٢١ (٤) الصحاح : ٢٢٦/٦ ولسان العرب : ٢٢ .

توضيح : قد يظن مع النظرة العجلى أن فى مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ الحشر : ٢ ـ دلالة على عدم تعيين الجهة ؛ لأن الجهة التى أتاهم الله منها لم تكن معلومة لهم لكن المرعى فى ذلك حال الآتى لا حال المأتى إليه ، وقوله تعالى : ﴿ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ تعيين للجهة التى اختارها الله لإتيان أمره إليهم ، لأن أحقية جهة الفعل خاضعة لمشيئته جل وعلا ـ لا لمشيئة غيره .

(٥) مقاييس اللغة : ٥٠/١١ ، الصحاح : ٢٢٦/٦ .

(٦) مقاييس اللغة : ٥٠/١ ـ الأفعال للسرقسطى : ٨٠/١ الأفعال لابن القطاع : ٥٨/١ .

ولمعنى الكثرة صلة بمعنيى الجهة والترفق ، لأن الكثرة تكمل من الجهة الخاصة ، وبالترفق فيها .

ـ ومن معانيها النفاذ ، قال اللحيانى : رجل أتى إذا كان نافذا ، واشتقاقات المادة وتصاريفها تدل على ذلك ، فالميتاء والميداء آخر الغاية حيث ينتهى إليه جرى الخيل [١] .

ـ ويتصل بمعنى النفاذ معنى (أهلك) ومعنى (مرّ به) يقال : أتى الشيء على الشيء ، بمعنى : أهلكه وأذهبه .

وأتيت على الشيء بمعنى : مررت به [٢] .

وقالوا فى الغريب : أتى وأتاوى [٣] ، وقد يكون لأنه يمر وينفذ فيمن يكون غريباً فيهم ؛ إذ بذلك تظهر غربته .

ومما هو من قبيل النفاذ والوصول إلى الغاية استعمالها فى معنى مباشرة الرجل المرأة . قال تعالى : ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [٤] .

ـ ومن المادة الإتيان ، بمعنى الإعطاء ؛ لأن المعطى يُنفذ عطاءه إلى المعطى له ، وهو لا يكون ـ غالباً ـ إلا عن كثرة .

٢ ـ المجيء :

قال الراغب : « جاء يجيء جيئة ومجيئاً ، والمجيء كالإتيان ، لكن المجيء أعم ؛ لأن الإتيان مجيء بسهولة ، والإتيان قد يقال باعتبار القصد ، وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول ، ويقال (جاء) فى الأعيان والمعانى ، ولما يكون مجيئه بذاته ، أو بأمره ، ولمن قصد مكانا ، أو عملا ، أو زمانا .. » [٥] .

هذا كلامه ، إلا أن فى قوله : (المجيء أعم) ـ على إطلاقه ـ نظراً ؛ لأن بينهما

---

(١) مقاييس اللغة : ٥٠/١، لسان العرب : ٢٢ .
(٢) الأفعال للسرقسطى : ٨٠/١ ، والأفعال لابن القطاع : ٥٩/١ .
(٣) مقاييس اللغة : ٥٠/١ ، لسان العرب : ٢١ .
(٤) البقرة : ٢٢٣ .
(٥) المفردات فى غريب القرآن : ١٠٣ .

عموما وخصوصاً من وجه ، فالإتيان أخص من جهة كونه بسهولة ، والمجيء أخص من جهة كونه دون سهولة ، وبينهما عموم من حيث دلالتهما على مطلق الحركة والانتقال دون التقييد بسهولة ، أو غيرها .

ـ ويتصل بصعوبة المجيء دلالة المادة على الغلبة والإلجاء . يقال : أجاءه إلى الشيء ، أى جاء به ، وألجأه ، واضطره إليه .

ويقال : جاءنى فجئته ، أى غالبنى بكثرة المجيء فغلبته [١] .

ـ وفى المجيء معنى الحبس وعدم النفاذ إلى الغاية ، لذا أخذ من المادة الاسم (الجئة) وهو مجتمع الماء حول الحصن وغيره [٢] ؛ لأنها تحبس الماء عنه فلا ينفذ إليه .

ـ ومن معانى المادة الدعاء إلى الشيء كطعام وغيره ، وهو الجيء [٣] ومن اشتقاقاتها ـ أيضاً ـ ما يدل على المفاجأة ، مثل : فجأ ، وفاجأ ، فجأه ومفاجأة ، وهو المجيء بغتة من غير أن يشعر به [٤] .

ـ ويقال : جاء الأمر بمعنى تحقق ؛ لأن المجيء باعتبار الحصول .

ـ والمجيء يكون من أى جهة ، ويأتى فى كلامهم لازماً ومتعدياً [٥] .

هذه هى خلاصة المعانى التى ذكرها أهل اللغة ، والتى ترتكز عليها مسائل الدراسة ، وترجع إليها الوجوه التى سنذكرها فى فقه دلالة الفعلين فى إطار مساقات الآيات الكريمة .

---

(١) مقاييس اللغة : ٤٩٧/١ ، الصحاح : ٤٢/١ ، الأفعال للسرقسطى : ٢٧٣/٢ ، الأفعال لابن القطاع : ١٨٢/١ .

(٢) مقاييس اللغة : ٤٩٧/١ .

(٣) لسان العرب : ٧٣٦ .

(٤) لسان العرب : ٣٣٥٠ وهذا الاشتقاق عقد له ابن جنى فى كتابه الخصائص بابا سماه (الاشتقاق الأكبر) جـ ٢ ص ١٣٣ ونلحظ فى إطار هذا الاشتقاق أن الكلمة (فجأ) أدت معنى الحركة والنقلة دون دعوة خلافاً للفعل (جاء) إذ قد يصحب هذا الاشتقاق تنوع فى دلالة المادة مع بقاء أصل الدلالة ، وتنظر ـ على سبيل المثال ـ تقاليب نحو (ك ل م ـ ك م ل ...) .

(٥) ينظر الفروق فى اللغة : ٣٠٢ .

المبحث الأول

سهولة الإتيان .. وصعوبة المجيء

المبحث الأول

سهولة الإتيان .. وصعوبة المجيء

سـهولة الإتيـان :

جمهرة أهل اللغة ـ كما سبق بيانه ـ على أن الإتيان مجيء بسهولة ، ويكون مرجع السهولة فيه إلى كون الحركة صادرة عن طواعية ورغبة ، أو لوقوع الفعل حال انقياد وطاعة ، أو فى معرض بيان التفضل به دون وجوب أو إلزام ، أو فى مقام بيان سهولته لقدرة الفاعل عليه ، أو لأن الإتيان قد فارقه ما يجعله صعبا ... وفى جميع المقامات والسياقات التى تدل على سهولة المجيء ، من شواهد ذلك :

١ – قول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ للَّه وَرَسُوله مَا عَلَى الْمُحْسنينَ من سَبِيلٍ ، واللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْه تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ منَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ (١) .

جاءت الآيتان الكريمتان فى سياق نفى الحرج عن بعض جماعات المؤمنين الذين لا يستطيعون الحرب مع رسول الله ﷺ ومنهم قوم لا يملكون عدة الحرب ، أتوا إلى رسول الله ﷺ ليحملهم على ما يستطيعون به الجهاد .

والوجه فى التعبير بقوله جل وعلا : « أتوك .. » الدلالة على سهولة إتيانهم ، لأنه صادر منهم عن رغبة ملحة ، سهلت حركتهم ، وليس ذلك عن تكليف لهم ، أو تكلف منهم ، فيصعب عليهم لمشقة ذلك .

فالفعل (أتى) قد نهض بالدلالة على خفة حركتهم وسهولتها لرغبتهم فى ذلك .

٢ – وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائعينَ ﴾ (٢) .

---

(١) التوبة : ٩١ – ٩٢ .

(٢) فصلت : ١١ .

الإتيـان فى قوله تعـالى : ﴿ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ إتيان سـهل ؛ لأنـه صـادر عن انقياد وطاعة ، دون امتنـاع أو أدنى تردد . والتسـاوق بين (أتينا) و (طائعين) واضح الدلالة على ذلك ، فضلا ـ عما نعلمه ـ من عـدم وجود فاصل زمنى بين الأمر والإجابة ؛ لأنه ـ جل وعلا ـ « إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » أى بلا تلبث وانتظار .

فالإتيان فى ذلك سهل سهولة تناسب قدرة الآمر جل وعلا وتجلى ذلك فى انقياد المأمور وطاعته .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (١) الوجه فى الإتيان بالفعل (أتى) ـ والله أعلم ـ الدلالة على سـهولة حركَة المجىء ؛ لأنه مجىء انقيـاد وقهر ، بدلالة مقـام الآية ومساقها . لأن الحديث عن الفزع يوم القيامة ، وما يصيب الناس من الفزع عند النفخ . مما يجعل حركتهم سهلة سريعة لا بطء فيها . والسياق بما فيه من كلمة (فزع) ودلالتها على الخوف وعدم السـكون ، وما فيه من كلمة (داخـرين) بدلالتها على الصـغار والهوان ـ كل ذلك له ارتباط بسـرعة الحركة وخفتها ، وعدم التأبى الذى يجعل الحركة بطيئة صعبة .

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٢) الوجـه فى الإتيـان بالفعـل (أتى) فى قوله تعالى ﴿ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ ـ وهو أعلى وأعلم ـ الإعلام بسـهولة الإتيان بمثقال الحبة والعلم بها ؛ لأن ذلك من القادر على الفعل ، الذى لا يعجزه ، ولا يصعب عليه شىء .

فضلا عن أن الإتيان عن تكرم ، لا وجوب فيه ولا إلزام .

٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ، بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٣) ﴿ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ أى إتيانا

---

(١) النمل : ٨٧ (٢) الأنبياء : ٤٧ (٣) المؤمنون : ٧١ .

سهلاً ، لأنه بقدرة الله جل وعلا ، وبتفضل منه فى ذلك من غير أن يطلبوه أو ينتظروه .

٦ – وقوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

المعنى ـ والله أعلم ـ أى تسهل أمر الله وحصل وعداً ؛ فلا تستعجلوه وقوعاً ، أو أتت وتسهلت مبادئه وأماراته ؛ ويمكن أن يكون على سبيل المجاز ؛ بأن يكون عبر بالماضى عن المستقبل (٢) .

فالإتيان بالفعل (أتى) للدلالة على قربه وسهولته ، وأنه فى حكم ما ألم بكم ، ونفذ إليكم ، فقد جاء الفعل فى مقام بيان قدرة الفاعل على الفعل .

واجتماع الفعل (أتى) الدال على السهولة ، مع النهى عن الاستعجال تقريع لهم ، وإعلام بأن ما يستعجلونه سهل الوقوع ، بل كأنه وقع فعلا لسهولته ، لأن الله قادر على ذلك ، ومن قبيله :

٧ – قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ، وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُواْ يَا أُوْلِى الأَبْصَارِ ﴾ (٣) .

﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ ﴾ ، أى أمره ، أو عذابه ، والإتيان بالفعل (أتى) لأن الآية فى معرض الحديث عن قدره الله تعالى التى لا تحيط بها الظنون ولا تكيفها العقول ، فإتيان الله لهم سهل ، ومن حيث لم يحتسبوا .

٨ – قال تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ، قَالُواْ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا ﴾ (٤) .

قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ أى انتقلت به إليهم انتقالا سهلا لا صعوبة فيه ؛ لأن الحال حال طمأنينة ؛ لاستقرار نفسها ، وعلمها أن ما كانت تظنه عاراً عليها هو خير لها ، وكرامة لولدها ، روى الطبرى عن ثقات : « أنساها ـ يعنى مريم ـ

---

(١) النحل : ١ .
(٢) ينظر : البحر المحيط : ٤٧٢/٥ .
(٣) الحشر : ٢ .
(٤) مريم : ٢٧ .

كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى ، حتى إذ كلمها ـ أى عيسى ـ وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ، ثم أقبلت به إلى قومها » (١) .

أما قول قومها لها : ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ أى عظيماً ـ بالتعبير بلفظ (جاء) لأنه المناسب لحالهم ، واعتقادهم أن ما وقع من مريم من قبح الفعل وجهارته ، وإعلانه بدليله وشاهده وهو عيسى ـ دون إخفاء أمر صعب مستغرب .

ومما هو واضح الدلالة على ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن موسى ـ عليه السلام ـ عند سيره بأهله .

٩ ـ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

١٠ ـ وقال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (٣) .

١١ ـ وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ، قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

تتحدث الآيات الكريمة عن مجيء موسى عليه السلام وإتيانه إلى ما ظنه ناراً ليجد هدى ، ويأخذ ما يصطلى به هو وزوجه عند سيره بها فى الطريق .

والوجه الذى نراه فى ظاهر الآيات ـ والله أعلم بمراده ـ أن الإتيان بالفعل (جاء)

---

(١) جامع البيان ٧٦/١٦ .
(٢) النمل : ٧ ، ٨ .
(٣) طه : ٩ ـ ١٢ .
(٤) القصص : ٢٩ ، ٣٠ .

فى آيات النمل لأن حركه المجيء كانت فى بدئها فهى حركة صعبة ، فيها تحمل ومشقة ، وللسياق دلالته على هذا البدء بقوله (سآتيكم) فالسين تدل على الاستقبال وأن حركة المجيء ، فى بدئها ، وأنه لم يصر بعد ممن حول النار .

أما الفعل (أتى) فى آيات سورتى طه والقصص فلأن ـ موسى عليه السلام – قد وصل الى النار ، وانتهت حركة مجيئه إليها بما فيها من صعوبة ، ولذلك يظهر رجاؤه فيها جاء من أجله ، فى قوله : ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ ـ ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ وكذلك قوله لأهله « امكثوا » وذلك لأنه صار على مقربة منها .

وهكذا يساعدنا إنعام النظر فى مقامات الآيات وسياقاتها على حسن إدراك وجوه الإتيان بكلا الفعلين فى القرآن الكريم .

ومما نلمح معه سهولة الإتيان السلطان والحجة ؛ لأن إتيان السلطان إتيان ظهور وانكشاف؛ مما يجعله أكثر ارتباطا بالسهولة والنفاذ من ذلك :

١٢- قول الله تعالى عند الحديث عن المسرفين المرتابين : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (١) .

١٣- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٢) .

﴿ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴾ أى حجة تسهلت لهم ، ووصلت إليهم ونفذت فيهم ، وتمكنت منهم حتى أزالت ما عندهم من شبهة ، فالإتيان فيه سهولة.

وسبيل نفى السهولة سبيل الإثبات ، إذ قد يأتى الفعل (أتى) منفياً للدلالة على انتفاء تسهل الإتيان ، من ذلك .

١٤- قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) غافر: ٣٥ . (٢) غافر : ٥٦ . (٣) القصص : ٤٦ .

﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ أى ما تسهل لهم مجيء النذير ، وما يسرنا لهم ذلك قبلك ، ولكن الله تفضل عليهم بك وسهل لهم رسالتك ، وسياق الآية الكريمة يدل على هذه السهولة بإظهار محض فضل الله تعالى عليهم ، وذلك باكتناف الإخبار بإنذاره قومه بقوله تعالى : ﴿ وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ وقوله تعالى : رجاء أن يتذكروا : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ كل ذلك له دلالته الواضحة على تسهل إرسال المصطفى عليه الصلاة والسلام إرسالا لم يتسهل لما قبلهم .

ومن ذلك ـ أيضاً ـ :

١٥- قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (١) فقوله تعالى : ﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ ﴾ أى ما تسهل إرساله إليهم . وأسلوب الرجاء فى التذكر والهداية فى الآيتين له وثاقة صلة بالسهولة التى يدل عليها الفعل (أتى) .

ـ صعوبة المجيء : يتميز الفعل (جاء) بدلالته على الصعوبة ، وتكون راجعة إلى ما فى حركته من مشقة وكلفة ، أو إلى ما فيه من شدة ورهبة وقهر أو استفظاع تجعله ثقيلاً صعباً ، أو لكون الجائى ذا بال وشأن .. إلى غير ذلك مما يشير إلى أن الفعل له خطره .

فمن شواهد مافيه صعوبة فى حركته ، ومشقة فى تحملها :

١٦- قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَءَاتُوهُم مَّا أَنفَقُواْ ، وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَا أَنفَقُواْ ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ ، يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

الوجه فى الإتيان بالفعل (جاء) فى الآية الكريمة ـ والله أعلم ـ أن الحركة هنا

---

(١) السجدة : ٣ .

(٢) الممتحنة : ١٠ .

فيها مشقة الهجرة والانتقال ، وتحمل أذى المشركين والسياق بما فيه من متعلقات بالفعل من المهاجرة ، والمبايعة ، والنهى عن إرجاعهن إلى الكفار ـ له دلالة على صعوبة الفعل .

١٧- وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

المجئ هنا كالمجىء فى الآية السابقة ، مجىء صعب ؛ لما فيه من تبعة ، وتحمل ، وعزيمة على طاعة ، وتنفيذ مبايعة ، لذلك كان غير سهل التحقق والقيام به إلا على أهل الإيمان والتحمل .

وقد تكون صعوبة حركة المجىء راجعة إلى من جىء به ، لا إلى فاعل المجىء ، وقدرته عليه من ذلك :

١٨- قول الله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً ، وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقّاً ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ من بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِى ، إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ المجىء هنا صعوبته راجعة إلى يعقوب وأهله الذين جاء الله بهم من البادية إلى مصر ، فهذه الحركة فيها من المشقة والصعوبة التى ترجع إليهم ، لا إلى الله جل وعلا ؛ لأنه قادر لا يعجزه شىء ، ونلحظ هنا ما لسياق الآية من دلالة على هذه الصعوبة من كونه : (من البدو) و (من بعد أن نزغ الشيطان) بين يوسف وإخوته .

---

(١) الممتحنة : ١٢ .

(٢) يوسف : ١٠٠ .

١٩- وقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (١) .

﴿ جِئْنَا بِمِثْلِهِ ﴾ المجيء هنا في مقام إظهار خطر الفعل وعظمة شأنه لصدوره من القادر عليه ، وصعوبة المجيء راجعة إلى ماجيء به لا إلى الجائي جل وعلا .

٢٠- وقال تعالى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ، يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ (٢) .

ما جيء به شيء له خطره ورهبته ولا يقدر عليه إلا الله جل وعلا ، فحركة جهنم حركة صعبة ، وقانا الله شرها .

ومن قبيل رجوع صعوبة الفعل إلى من جيء به لكون المجيء به ذا شأن ما يأتي :

٢١- قول الله تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ، وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

٢٢- وقوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً ﴾ (٤) ، فالمجيء في هذه الشواهد مجيء صعب صعوبة ترجع إلى من جيء ، ومن حيث كونه مجيئاً ذا شأن وخطر لوقوعه من الله القادر (جل وعلا) .

وقد يكون ثقل المجيء راجعاً إلى عامل نفسي أكثر من كونه راجعاً إلى حركة الفعل ، فينجر هذا الضيق النفسي إلى حركة الفعل ؛ فيجعلها صعبة ثقيلة يتضح ذلك في الشواهد الآتية :

٢٣- قال تعالى في استثناء فريق من المنافقين بألا يقتلوا : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ، فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ (٥) .

---

(١) الكهف : ١٠٩ .
(٢) الفجر : ٢٣ .
(٣) الزمر : ٦٩ .
(٤) النساء : ٤١ .
(٥) النساء : ٩٠ .

فى الآية استثناء من قتل المحاربين لقوم يرتبطون بمن عاهدهم المؤمنون ، وقد جاءوا بنفوس قلقة مضطربة تتردد بين قتال المؤمنين وقتال قومهم ، فانجر هذا الاضطراب على حركة مجيئهم إلى المؤمنين ، فثقل المجيء عليهم ، لذا كان المناسب الإتيان بالفعل (جاء) .

٢٤- وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ، وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ، حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ، فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

المقام هنا لمجيء قوم إلى رسول الله ﷺ وهم على نية المعصية ، وبنفوس مريضة تتلظى حقدا وغيظا ، ويتجلى ذلك فى مخاطبتهم لرسول الله ﷺ ، فمجيئهم صعب ثقيل.

٢٥- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ (٢) .

نزلت الآية فى أناس من اليهود ، وكانوا يدخلون على النبى ﷺ فيخبرونه بأنهم مؤمنون ، راضون بالذى جاء به ، وهم يكتمون كفرهم (٣) ، فمثل هؤلاء لا يكون مجيئهم إلا صعباً ثقيلاً .

٢٦- وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ (٤) .

﴿ جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾ المجيء ثقيل بأهدافه ، فنواياهم السيئة بادية فى جدالهم وافترائهم .

---

(١) المجادلة : ٨ .
(٢) المائدة : ٦١ .
(٣) ينظر جامع البيان للطبرى : ٢٩٦/٦ .
(٤) الأنعام : ٢٥ .

٢٧- وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (١) .

﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾ المجيء هنا محاط بالريبة ، لأنه مجيء إفساد ، إصابة بالشرور ، والندم على الاستجابة له . فهو مجيء صعب ثقيل ، ممن جاء ، وعلى من جيء إليه .

٢٨- وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢) .

مجيء المنافقين ثقيل ؛ لأنهم يدركون أنهم موضع ريبة ، لما انطوت عليه نفوسهم من الكذب .

ومما هو مجيء صعب مقيت ؛ لأنه يحمل فى طياته عبء نفوس أثقلتها تبعات الإيمان ـ المجيء فى الآية الآتية :

٢٩- قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) .

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ ﴾ المجيء للاعتذار عن فرض الجهاد ، لذا فهو ذو عبء ومشقة ؛ لأن المقدم عليه يشعر بأنه يهرب من تبعة واجبة عليه ، لذا لايكاد يرى إلاوهو يقدم رجلا تارة ويؤخر أخرى ، ويخاف عند المجيء للاعتذار من مكاشفته بجبنه ونفاقه .

أما الذين اطمأنت قلوبهم واستخفوا تبعات الإيمان ورضوا بها فإن مجيئهم يكون سهلا عليهم وعلى غيرهم ، ولا يخفى اختلاف المقام فى الآية السابقة عنه فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ (٤) .

فإن الجو النفسى فى هذه الآية يختلف عنه فى الآية (٩٠) السابقة لأن المجيء .

---

(١) الحجرات : ٦ .
(٢) المنافقون : ١ .
(٣) التوبة : ٩٠ .
(٤) التوبة : ٩٢ .

من نفوس راضية مطمئنة استعذبت الإيمان واستخفت تكاليفه ، لذا كان مجيئاً سهلاً لينا لا كراهة له ولا خوف منه كما كان فى الآية (٩٠) والله أعلم .

وقد يكون الجو النفسى الذى يناط به ثقل المجىء وصعوبته راجعا إلى من يكون المجىء إليه ، لا إلى الجائى ، من ذلك :

٣٠- قول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ (١) .

المجىء ، صعب بمساعدة المقام الذى كان فيه لوط ـ عليه السلام ـ ثم إنه مجىء ، بعذاب لقومه ، كما يدل عليه سياق الآيات ، وقول لوط : « هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ » فالمجىء صعب ثقيل .

وقد تكون مشقة المجىء والكلفة فيه راجعة إلى كون ما يؤتى به مستبعدا لدرجة الاستحالة أو قريب منها ، أو لأنه لا تجرى به العادة ، وإن كان فى ذاته ممكن الوقوع .

فمثال ما هو مستبعد لدرجة الاستحالة .

٣١- قول الله تعالى : ﴿ لَّوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (٢) .

لا شك أن المجىء بالشهداء على ما ادعاه المنافقون فى حديث الإفك على بيت النبوة مستحيل ، بل بعيد صعب فى حق غيرهم ، لطهارة آل البيت ، ولأن المجىء بالعدد المشروط فى الشهادة على هذه الأمور الخطيرة ـ تحرزا وحيطة ـ صعب تحققه ومن ثم أخبرت الآية بأنهم لم يأتوا با لشهداء ، أى أنه لم يتسهل لهم ، لذا استحقوا الوصف بالكذب وحصرهم فى هذه الصفة .

ومثال ما هو مستبعد المجىء به ، فيكون لذلك ثقيلا :

٣٢- قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ (٣) .

---

(١) هود : ٧٧ . (٢) النور : ١٣ . (٣) يوسف : ٧٢ .

﴿ جَاءَ به ﴾ أى لصواع الملك ، وهو مجيء صعب ، وترجع الصعوبة إلى كونه محل طمع ، لذلك أجزلوا العطية والمكافأة لمن يأتى به ، وأكدوا ضمانة ذلك.

أما ما يكون ممكنا لكن لا تجرى به العادة ـ فقد جاءت شواهده فى مقامات تظهر عناد الكافرين وطلبهم أموراً من هذا القبيل ، مثل :

٣٣- قول الله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ، إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١) .

﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ يطلبون أمراً لم تجر به العادة ، ولا تستدعيه دعوتهم إلى الإيمان .

٣٤ - وقول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ (٢) .

﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ ﴾ يطلبون أمراً لا يستحيل عقلا ، لكن لا تجرى به العادة ، لأن السنن الكونية أن يأتىَ الأنبياء دون أن يصحبهم الملائكة ؛ لأن الحكمة تقتضى أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾ (٣) ، فمجيء الملائكة برسالة أو اشتراكهم فى تبليغ الدعوة صعب من حيث إنه لا يتناسب وطبيعة الأشياء ، لأن التفاهم بين الخلق يقتضى اتفاقا فى الجنس ، والتشريع يقتضى سلوكاً بشرياً يقتدى به بنو الإنسان ، وما جاء من مخاطبة الملائكة للنبيين فهذا من باب الخصوصية والتفرد ، والله أعلم .

ومما فيه الصعوبة راجعة إلى ما فيه من رهبة وخوف الشواهد الآتية :

٣٥ - قول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤) .

---

(١) هود : ١٢ .
(٢) الزخرف : ٥٣ .
(٣) الأعراف : ٩٥ .
(٤) الإسراء : ٥٣ .

٣٦- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ، إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ ، إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

من الواضح أن المجيء بالسحر أمر عظيم لأن للسحر رهبة تملأ النفس. ففيه توافق بين الفعل (جاء) والسحر فى صعوبة كل منهما .

٣٧- وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢) .

مجيء الريح العاصف ومجيء الموج من كل مكان مجيء صعب مرعب ، إذ ينتظر الموت من كل مكان لوجود أسبابه .

لذا حصل تساوى بين الفعل(جاء) وما أسند إليه وهو ﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ ومما هو من هذا الباب مجيء الساعة وعلاماتها ، والأمر بالإهلاك والعذاب .

٣٨- قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (٣) .

٣٩- وقال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (٤) .

٤٠- وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ (٥) .

٤١- وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ (٦) .

---

(١) يونس : ٨١ .
(٢) يونس : ٢٢ .
(٣) الأنعام : ٣١ .
(٤) الإسراء : ١٠٤ .
(٥) محمد : ١٨ .
(٦) النازعات : ٣٤ .

٤٢- وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾ (١) .

٤٣- وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ، وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ (٢) .

٤٤- وقال تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ، فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ، وَلاَ تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا ، إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ (٣) .

٤٥- وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٤) .

٤٦- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ ﴾ (٥) .

٤٧- وقال تعالى : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (٦) .

٤٨- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ (٧) .

٤٩- وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (٨) .

٥٠- وقال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ (٩) .

---

(١) عبس : ٣٣ .
(٢) هود : ٤٠ .
(٣) المؤمنون : ٢٧ .
(٤) هود : ٥٨ .
(٥) هود : ٦٦ .
(٦) هود : ٧٦ .
(٧) هود : ٨٢ .
(٨) هود : ٩٤ .
(٩) هود : ١٠١ .

٥١- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

٥٢- وقال تعالى : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ، قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىَ جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾ (٢) .

ومما أسند فيه الفعل (جاء) إلى الخوف لم فيه من شدة وصعوبة ما يأتي :

٥٣- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٣) .

٥٤- وقال تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ، أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ﴾ (٤) .

ومما أسند فيه الفعل (جاء) إلى البأس والعذاب والوعيد به ما يأتي :

٥٥- وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

٥٦- وقال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ * فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (٦) .

٥٧- وقال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللهِ إِن جَاءَنَا ، قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٧) .

---

(١) غافر : ٧٨ .
(٢) الحديد : ١٤ .
(٣) النساء : ٨٣ .
(٤) الأحزاب : ١٩ .
(٥) الأنعام : ٤٣ .
(٦) الأعراف : ٤ ، ٥ .
(٧) غافر : ٢٩ .

٥٨- وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ، وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ (١) .

ومن مجيء الوعد بالعذاب الذى أكثروا استعجاله فلم يغن عنهم شيء :

٥٩- وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (٢) .

ومن مجيء الوعد بالتدمير والإهلاك :

٦٠- قوله تعالى إخباراً عن وعده بنى إسرائيل بما يحصل لهم عند إفسادهم فى الأرض : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ﴾ (٣) .

٦١- وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً ﴾ (٤) .

٦٢- وقوله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِى ، فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ ، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ (٥) .

فالآيات السابقة فيها إسناد الفعل (جاء) إلى الوعد بالعذاب والتدمير ، فهو مجيء فيه صعوبة وشدة .

ومما هو مجيء صعب فيؤتى فيه بالفعل (جاء) دون (أتى) مجيء الموت والأجل من ذلك :

٦٣- قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) العنكبوت : ٥٣ . (٢) الشعراء : ٢٠٦ . (٣) الإسراء : ٤ ، ٥ .
(٤) الإسراء : ٧ . (٥) الكهف : ٩٨ . (٦) الأنعام : ٦١ .

٦٤- وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ، ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (١) .

٦٥- وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ (٢) .

٦٦- وقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ، وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣) .

٦٧- وقوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ ، لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٤) .

٦٨- وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٥) .

٦٩- وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾ (٦) .

٧٠- وقوله تعالى : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

٧١- وقوله تعالى : ﴿ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ ، لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨) .

فى كل ذلك كان الإتيان بالفعل (جاء) لما فيه من صعوبة تناسب ما أسند إليه من خوف وبأس وعذاب وموت .

ومما فيه الصعوبة راجعة إلى كون الجائى مستقبحاً ينفر منه ومما جيء به ـ ولو على سبيل الإدعاء ـ الشواهد الآتية :

٧٢- قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ، لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ، بَلْ

---

(١) سورة ق : ١٩ .
(٢) المؤمنون : ٩٩ .
(٣) الأعراف : ٣٤ .
(٤) يونس : ٤٩ .
(٥) النحل : ٦١ .
(٦) فاطر : ٤٥ .
(٧) المنافقون : ١١ .
(٨) نوح : ٣ ، ٤ .

هُو خَيْرٌ لَّكُمْ ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ، وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

﴿ جَاءُوا بِالإِفْكِ ﴾ هذا المجيء صعب المسلك ؛ لأن فى حوكه جهداً ومشقة ، وفى محاولة الوصولَ به إلَى التصديق مشقة أكبر ، فضلاً عن كونه مقيتاً مستنكراً ، لا يقبله ولا يرضى به أهل الصدق والإيمان ، ويشق على النفس قبوله وسماعه .

٧٣- وقال تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ، قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (٢) .

المجيء هنا صعب لأن ما جاءوا به فعل نفوس لعب بها الشيطان ، وهو بلاء يستعان عليه بالله ، ثم الصبر عليه .

ومما يؤكد مناسبة (جاء) لما هو مستقبح ، وله خطورته ـ ما جاء فى قصة إخوته عندما ظن بهم أهل العزيز سوءا ، واتهموهم بالسرقة ، فردوا عليهم بنفى مجيئهم لهذا .

٧٤- قال تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ (٣) .

لم يقولوا (ما أتينا) لأنهم بصدد نفى جرم يكون اقترافه صعباً ، فناسبه الفعل (جاء) لأنه مجيء إفساد وتخريب ، يأنف منه أصحاب النفوس السوية .

ومما فيه المجيء صعب لاستنكار ماجيء من أجله واستفظاعه ادعاء وعنادا ما يأتى :

٧٥- قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٤) .

٧٦- وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِى الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) النور : ١١ .
(٢) يوسف : ١٨ .
(٣) يوسف : ٧٣ .
(٤) الأعراف : ٧٠ .
(٥) يونس : ٧٨ .

٧٧- وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى ﴾ (١) .

٧٨- وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ (٢) .

٧٩- وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣) .

المجيء فى هذه الشواهد محل استغراب وإنكار ، وغير مرغوب فيه ؛ لأنه ـ حسب ادعاء الكافرين وعنادهم ـ فيه إخراجهم من أرضهم ، وإبعادهم عن آلهتهم ، بل يزيدون فى اللجاجة ، ويتساءلون تساؤل المتجاهل عم جاء به الأنبياء ، من أنه لا يعرف أحق هو أم لعب ؟ .

تساوق الفعل مع المقام والسياق :

ومما ينبغى التنبه له أن إدراك الوجه فى مجيء أحد الفعلين لا يكون بمعزل عن ملاحظة سياق الكلام ومقامه الذى يأتى فيه ، يوضح لنا ذلك ويؤكده إمعان النظر فى الشواهد الآتية :

٨٠- قال تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ، قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾ (٤) .

٨١- وقال تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴾ (٥) .

قوله : ﴿ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾ و ﴿ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴾ المجيء فيهما مجيء صعب ، والسياق هنا يشتمل على ذكر خرق يترتب عليه إهلاك وقتل غلام لم يبلغ الحلم بغير ذنب ارتكبه ؛ هذه أشياء وأمور يكون المجيء بها صعبا ، والمقام مقام استغراب وتعجب من أشياء لم تتبد حكمها لموسى عليه السلام ، فالمجيء هنا الذى هو بمعنى فعل ما يتعجب منه مجيء صعب ، لكن الأمر يختلف فى الآية الآتية عن الآيتين السابقتين .

٨٢- قال تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ (٦) .

---

(١) طه : ٥٧ . (٢) الأنبياء : ٥٥ . (٣) الأحقاف : ٢٢ .
(٤) الكهف : ٧١ . (٥) الكهف : ٧٤ . (٦) الكهف : ٧٧ .

الانطلاق هنا بدلالته علي الحركة وسهولتها تبعة أمر سهل هو نتيجة هذا الانطلاق ، وهو بلوغهما أهل قرية ووصولهم إلى ما ستتجلى فيه حكمة ثالثة ، فلم يأت بعده شيء صعب كما كان فى الآيتين السابقتين ، لذلك ناسبه الفعل « أتى » فى قوله تعالى ﴿ أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ والمقام يستدعى ـ أيضاً ـ الفعل « أتى » لأنه مقام غربة ، وكلاهما غريب فى القرية[1] .

وإذا كنا قد لحظنا فى شواهد العذاب والهلاك والأمر به ، وكذلك ما هو من قبيله كالخوف وكل ما هو فظيع أن المناسب فيها الفعل (جاء) للصعوبة التى فيها ـ فإننا نجدها فى سياقات أخرى قد جاء معها الفعل (أتى) لما فيه من التأتى وتطاول الحدث وسهولته ، من ذلك :

٨٣- قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] .

﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً ﴾ السياق هنا ليس فيه تحديد لوقت الإتيان بليل أو نهار ، وهو إتيان مسبوق بتطاول الأحداث قبله وتنوعها : من أخذ الأرض زخرفها ، وتزينها حتى يظن أهلها أنهم قادرون عليها ، فتأتى لهم الأمر بالعذاب وتسهل إتيانه ، مصاحبا حالا كانت مطمئنة رغدا ، وفيها من الغرابة التى يناسبها الفعل (أتى) .

٨٤- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ ، إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3] .

الإتيان هنا ليس على سبيل الجزم وإنما جيء به على سبيل الغرض والاحتمال لتقريرهم بما يترتب عليه . فمقام الآية ومساقها يستدعيان الفعل (أتى) .

---

(١) أنظر المعانى اللغوية لمادة الفعلين . (٢) يونس : ٢٤ . (٣) الأنعام : ٤٠ .

٨٥- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .

٨٦- وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٢) .

الإتيان بالعذاب فى سياق الآيتين وقته متسع يدور بين ليل ونهار ، وبين علم به وعدم علم بأن يكون بغتة لذا كان المناسب للعذاب فى هذا السياق الفعل (أتى) لما فيه من التأتى وغرابة المجىء .

ومما يختلف معه الإتيان بالفعل (أتى) للدلالة على السهولة ، والفعل (جاء) للدلالة على الصعوبة تبعاً للمقام والسياق ـ الأحاديث والأنباء . إذ لم يأت مع ذكر الأحاديث إلا الفعل (أتى) لمناسبته ما فيها من سهولة وتأت ، وذلك كما فى الشواهد الآتية :

٨٧- قال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (٣) .

٨٨- وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (٤) .

٨٩- وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٥) .

٩٠- وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ (٦) .

٩١- وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ (٧) .

المعنى فى الآيات والله أعلم ـ هل تيسر لك العلم وتسهل لك خبر ما كان ، وحديث ما شأنه كذا وكذا .. فناسب هذا التفصيل وتسهيل هذه الأخبار الإتيان بالفعل (أتى) .

---

(١) الأنعام : ٤٧ .
(٢) يونس : ٥٠ .
(٣) طه : ٩ .
(٤) النازعات : ١٥ .
(٥) الذاريات : ٢٤ .
(٦) البروج : ١٧ .
(٧) الغاشية : ١ .

وقد جاء مع النبأ الفعل (أتى) فى الآية الآتية :

٩٢- قال تعـالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ الْمِحْرَابَ ﴾ (١) .

المعنى ـ والله أعلم ـ هل تسهل لك العلم بما حصل من الخصم حينما تسوروا المحراب على داود ، فإذا لم يكن لديك علم به ـ وهو كذلك ـ فنحن نسهل لك العلم ، ونخبرك به ثم تستطرد الآيات فى إخبار الرسول ﷺ بما كان من شأنهم بسهولة ويسر ، دون سبق انتظار منه عليه الصلاة والسلام ، وإنما بتفضل من الله تعالى .

لكن المقام يختلف اختلافا واضحا فى الآية الآتية عنه فى آية (ص) :

٩٣- قال تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ، وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢) .

قوله : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ بالفعل (جاء) مع النبإ خلافاً للآيات السابقة ـ والله أعلم ـ لأن المَقام مَقام تذكير من الله ـ سبحانه وتعالى ـ بما سبق الدعوة إلى الله من الأذى ، وصبرهم على ذلك حتى أتاهم النصر ، فقد جاءت الأنباء له بما يصعب إلا على أولى العزم .

والسياق له دلالته على خطـورة المجىء ، وأنه ذو شأن ؛ فقد جاء الفعل مؤكداً بالقسم ، وقد ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ ﴾ بل هو سـياق مشحون بدلالته على ذلك قبـل الفعل وبعده ، فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ فهذه خلاصة نبأ المرسلين ، ثم جاء الحكم الفصل ﴿ وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ ثم جاء قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الـسَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ، فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣) .

وذلك لتنبيه النبى ﷺ بأنه ليس له من الأمر شيء فعليه أن يخفف عن نفسه إعراضهم .

---

(١) سورة ص : ٢١ . (٢) الأنعام : ٣٤ . (٣) الأنعام : ٣٥ .

هذا السياق بما فيه من هذا الإعلام القاطع الواضح ، والإنباء بما كان ، وما يجب أن يكون ـ سياق قوة يناسبه الفعل (جاء) [1] ، ومن شواهد الإتيان بالفعل (جاء) مع الأنباء الآية الآتية :

٩٤- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ [2] .

المقام فى الآية لإظهار قوة الأنباء وشدتها والسياق ـ أيضاً ـ له دلالته على ذلك بشموله كلمة (مزدجر) والإتيان بصيغة الجمع (الأنباء) بما تدل عليه من الكثرة ، كل ذلك يناسبه الفعل (جاء) لما فيه من الصعوبة .

ومن الشواهد الواضحة الدلالة على تساوق الفعل مع مقامه وسياقه الآيات الآتية :

٩٥- قال تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [3] .

٩٦- وقال تعالى : ﴿ قَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [4] .

٩٧- وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ، بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [5] .

سنعلم ـ بعد ـ أن الحق ـ فى جميع شواهده ـ لم يسند إليه إلا الفعل (جاء) ذلك لما للحق من سلطان قاهر ، وقوة ملجئة إلى حكمه ، لكننا فى هذه الشواهد الثلاثة نلحظ الحق مجيئاً به وليس المجيء مسنداً إليه ـ وإنعام النظر بدلنا على أن سياق الآية الأولى (المؤمنون ٩٠) يناسبه الفعل (أتى) لأنه سياق يشعر بالتأتى والسهولة ؛ لأن الآيات فيه تحدثت عن وحدانية الله تعالى ، ونفى نسبة الولد إليه ، وتمثل التأتى إلى هذا الغرض فى عدة أسئلة تسلم إجاباتها كلها إلى الإقرار بالوحدانية ، فقد قررتهم بأن الأرض ومن فيها لله تعالى ، وأن الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، وأنه بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير من يستنجد به ، ولا يحول أحد بينه وبين من يريد إنزال عقوبته به ، هذا التقرير بأسلوب السؤال والجواب هو فى حقيقته من مسالك التأتى إلى

---

(١) أنظر الحديث عن السياق الخاص بالفعل (أتى) فى قوله : « أتاهم نصرنا » الشاهد ٩٣ .

(٢) القمر : ٤ .
(٣) المؤمنون : ٩٠ .
(٤) الزخرف : ٧٨ .
(٥) المؤمنون : ٧٠

الحق وتيسير الوصول إليه ، ومن ثم ناسبه الإتيان بالفعل (أتى) وإن كانوا بعد هذا التسهيل للأدلة والبراهين ادعوا الولد والشريك لله جل وعلا ، فختمت الآيات بقوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١).

أما السياق فى الآية الثانية الزخرف (٧٨) فليس فيه ملاينة وملاطفة ، فبعد أن أخبر الله جل شأنه ـ بأحوال المؤمنين وجزائهم الكريم ـ أخبر عن المجرمين ، وما لهم من عذاب أليم لا يخفف عنهم ، ثم جاءت الآية معلنة كفار مكة بأنه قد جاءهم الحق ولكنهم لا يذعنون له لقلوبهم الغلف ، لذا فهم ماكثون فى جهنم لن يخرجوا منها .

فالسياق سياق قوة وتوعد وتخويف ، لذا ناسبه الفعل (جاء) لما فيه من دلالة على القوة والإلجاء والقهر ، والله أعلم .

وكذلك الآية الثالثة (المؤمنون ٧٠) مسبوقة بالحديث عن نكوص الكفار على أعقابهم ، واستكبارهم ، وعدم تدبرهم القول ، كأن ما جاءهم غريب لم يأت آباءهم الأولين مثله ، بل كأنهم لم يعرفوا رسولهم بما له من رجاحة عقل ، وحسن خلق ، فسوغوا لأنفسهم اتهامه بالجنون ليعرضوا عنه ؛ لذلك قهرتهم الآية الكريمة ، وأخبرتهم بأن رسول الله ﷺ قد جاءهم بالحق الواضح البين الذى كرهوه وأعرضوا عنه .

إسناد المجيء إلى الله تعالى :

وقد تكون صعوبة المجيء غير راجعة إلى الحركة والانتقال من حيز إلى آخر ، التى هى حقيقة المجيء المسند إلى المخلوق ، وإنما يكون مجيئاً ذا شأن لا يمكن معه إدراك سره والإحاطة به ، وهو المجيء المسند إلى الله تعالى .

٩٨- قال الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٢) .

اختلفت آراء المفسرين للمجيء فى الآية ، فمنهم من يرى المجيء على حقيقته ، بأن يكون مجيئاً يليق بذاته وصفاته ـ جل وعلا ـ لا تدرك حقيقته ، ولا يتجلى إلا فى ظهوره جل وعلا .

---

(١) المؤمنون : ٩١ .

(٢) الفجر : ٢٢ .

قال الفيروزأبادى فى بيان الوجوه التى يراد بها الفعل (جاء) : « الوجه الأول : جيئة الهيبة من الملك والملك ، مثل : « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » [1] .

ومنهم من يرى أن المراد بالمجيء الظهور والتجلى ، قال أبو حيان : « قال القاضى منذر بن سعيد : أى ظهر للخلق هنالك ، وليس بمجيء نقلة ، وكذلك مجيء الطامة والصاخة .. » [2] .

وعلى هذا يكون المجيء هنا غير متعين الدلالة على الحقيقة ، ويكون على سبيل المجاز [3] .

ويقوى اعتبار المجاز فى الشواهد الآتية :

٩٩- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [4] .

فالوجه فى قوله ﴿ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ ﴾ ـ والله أعلم ـ أى أنزلنا إليهم كتابا .

١٠٠- وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ، وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَـؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [5] .

﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا ﴾ أى ـ والله أعلم ـ بعثناك وأرسلناك شهيداً عليهم .

١٠١- وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [6] .

---

(١) بصائر ذوى التنوير فى لطائف الكتاب العزيز : ٤١١/٢ .

(٢) البحر المحيط : ٤٧١/٨ وينظر : ١٢٤/٢ ، ٤٠٠/٥ ـ وجامع البيان : ٣٢٧/٢ والكشاف : ٣٥٣/١ والقرطبى : ٨٣٣ .

(٣) علق الأستاذ الدكتور محمود توفيق سعد على هذا عند قراءته للبحث قائلاً : مثل هذا الإنكار نسلمه ، إذ لا دليل من عقل أو نقل على استحالة وقوع فعل مجيء من الله يليق بذاته وصفاته، وشأن الفقه البيانى لدلالة الأفعال مطلقاً ملاحظة حال من تسند إليه ، فليس الفعل المسند للخلق هو بدلالته التركيبية للعبارة ، ولا يقول بهذا أحد .

(٤) الأعراف : ٥٢ . (٥) النحل : ٨٩ . (٦) الفرقان : ٣٣ .

﴿ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ أى ـ والله أعلم ـ أنزلنا عليك الحق الذى هو أحسن من كلامهم .

(مجيء الملائكة) ، ومن المجيء الذى له شأن لما فيه من البشارة أو الرهبة والتخويف فيكون صعبا ـ مجيء الملائكة .

١٠٢- قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ، أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (١) .

﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ المجيء هنا له خطره وشأنه ، ثم هو مجيء صعب عل من يتوفى .

١٠٣- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٢) .

مجيء الرسل إلى آل لوط بالعذاب الذى كانوا فيه يمترون مجيء صعب لما فيه من التدمير والإهلاك ، لكن عندما صار الإتيان إلى لوط بالحق والصدق الذى لا مراء فيه جاء الفعل (أتى) والوجه فى ذلك أن هذا الإتيان سهل لأنه ليس فيه عذاب وشدة مما يجعله صعباً يناسبه الفعل (جاء) .

١٠٤- وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٣) .

المجيء هنا صعب لما يحمله من الإهلاك والتدمير .

١٠٥- وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) الأعراف : ٣٧ .
(٢) الحجر : ٦١ - ٦٤ .
(٣) العنكبوت : ٣١ .
(٤) العنكبوت : ٣٣ .

المجيء هنا صعب لأن فيه إهلاك وتدمير ، ومما له دلالة على كون مجيء الملائكة له شأن إساءته لوطا وخوفه وحزنه منه .

وقد تكون صعوبة المجيء ليست راجعة إلى الحركة ، بأن يكون الفعل جاريا على سبيل التوسع والمجاز فى مقام بيان شأن الآتى ومكانته ، كالحديث عن مجيء الرسل بمعنى إرسالهم ، وعن مجيء الكتاب والذكر والبرهان والآيات بمعنى الإنزال ، وعن مجئ العلم بمعنى حصوله وتحققه ، وعن مجيء الحق بمعنى ظهوره وغلبته ، وهكذا .

مجيء الرسل (عليهم الصلاة والسلام) :

لما كان مجيء الرسل ذا شأن وخطر لاصطفاء الله لهم وتمييزهم عن غيرهم من الخلق صار ذلك بمنزلة الصعوبة فى الحركة .. وكان المناسب أن يسند الفعل (جاء) إلى الرسل ـ عليهم السلام ـ ومما يدل على مكانة مجيئهم وخطره أننا نجد العجب من أقوامهم عند إرسالهم ، لما فيه مجيئهم من صعوبة ترجع إلى تعبير العادات وإزالة مظاهر الشرك والانحراف فيهم ، لذلك عاندوا ، وكرهوا أن يؤمنوا بهم .

١٠٦- قال تعالى : ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ، وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَـذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (١) .

١٠٧- وقال تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٢) .

ثم هم يستكبرون ويكذبون مجيء الرسل ويذهبون إلى إيذائهم وقتلهم . وهذا ـ ولاشك ـ واضح الدلالة على صعوبة مجيء الرسل وتحملهم له .

ثم هم يستكبرون ويكذبون مجيء الرسل ويذهبون إلى إيذائهم وقتلهم ، وهذا ـ ولا شك ـ واضح الدلالة على صعوبة مجيء الرسل وتحملهم له .

١٠٨- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ

---

(١) سورة ص : ٤ .

(٢) سورة ق : ٢ .

مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (١) .

١٠٩- وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾ (٢) .

١١٠- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٣) .

١١١- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُوراً ﴾ (٤) .

ومما يصور لنا ما يتحمله المرسلون فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى وما يقابلهم من التكذيب ـ الآيات الآتية :

١١٢- قال تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ من شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾ (٥) ، استبعد الله سبحانه وتعالى إيمان المعاندين لرسول الله ﷺ حتى ولو أظهروا ذلك عند نزول العذاب بهم ، شأنهم فى ذلك شأن قوم فرعون ، كما جاء فى هاتين الآيتين :

١١٣- قال تعالى : ﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ (٦) .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧) .

وجميع شواهد مجيء الرسل واضحة فى دلالتها على خطر الرسالة ، وأهمية الغاية منها ، وأثرها فى حياة الإنسان ، فهم قد جاءوا لإنذار أقوامهم ، وتوجيههم إلى عبادة الله وحده ، ولإبلاغهم الحكمة البالغة ، والآيات البينة ، والحق والهدى والصدق الذى أنزل

---

(١) البقرة : ٨٧ .
(٢) المائدة : ٧٠ .
(٣) النحل : ١١٣ .
(٤) الإسراء : ١٠١ .
(٥) يس : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .
(٦) الدخان : ١٣ .
(٧) الدخان : ١٧ .

عليهم ، كل هذا واضح فى أن مجيء الرسل ليس بالأمر الهين السهل ، وإنما له خطره وشأنه .

فمن شواهد مجيئهم وتسميتهم بالنذر الآيات الآتية :

١١٤- قال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (١) .

١١٥- وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾ (٢) .

١١٦- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾ (٣) .

أى موسى وهارون عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام ، أو النذر جمع نذير ، وهو الإنذار، والآيات التى أرسلها الله لهم (٤) .

١١٧- وقال تعالى : ﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلاَلٍ كَبِيرٍ ﴾ (٥) .

ومن شواهد مجيئهم ودعوتهم إلى عبادة الله وحده الآيات الآتية :

١١٨- قال تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ ، قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٦) .

وقول المعاندين - وإن كان باطلا : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً ﴾ إعلاما منهم بأنهم يدركون خطر الرسالة وأهميتها .

١١٩- وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧) .

يبين لكم الدين الخالص الذى محض دعوته عبادة الله وحده .

---

(١) فاطر : ٣٧ .
(٢) فاطر : ٤٢ .
(٣) القمر : ٤١ .
(٤) ينظر الكشاف : ٤/٤١ .
(٥) الملك : ٩ .
(٦) فصلت : ١٤ .
(٧) المائدة : ١٥ .

١٢٠- وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ، فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

المجيء في الآية مجيء له هدف ، وغاية سامية ؛ لأنه لبيان طريق الحق من طريق الباطل ، بعد أن عمت الجاهلية ، وانحرف من انحراف عن الطريق بعد الرسالات السابقة ، وهو مجيء يقطع عل أهل الكتاب أن يتعللوا بعدم تحقق هذا المجيء الذى له أهمية ، ثم تؤكد الآية أنه قد جاءهم بشير - وذلك للطائعين - ونذير - وذلك للعاصين - وهذه تجليات قدرة الله تعالى لعباده .

على أن أهل الكتاب عاندوا وأنكروا ما عندهم من العلم بالبشارة بمحمد عليه الصلاة والسلام .

١٢١- قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

وقد رفضوا الإيمان بالرسول الخاتم مع أن الإيمان لا يتحقق إلا به ؛ لأن التصديق به حتم ؛ إذ دعوته كافة لجميع الأمم بدليل :

١٢٢- قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ، قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى ، قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٣) ، على أن رسالة الرسول ﷺ رسالة رأفة ورحمة ، ومجيئه رحمة لقومه وللعالمين ، وله خطره وشأنه .

١٢٣- قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

عليه الصلاة والسلام ..

---

(١) المائدة : ١٩ .
(٢) البقرة : ١٠١ .
(٣) آل عمران : ٨١ .
(٤) التوبة : ١٢٨ .

وأكثر الشواهد لمجيئهم الشواهد التى فيها إخبار بمجيئهم بالآيات البينات ، والحكمة.

١٢٤- وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ، قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١) .

١٢٥- وقال تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ، وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٢) .

١٢٦- وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

١٢٧- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٤) .

١٢٨- وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٥) .

١٢٩- وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٦) .

١٣٠- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧) .

---

(١) آل عمران : ١٨٣ ، ١٨٤ . (٢) المائدة : ٣٢ . (٣) الأعراف: ١٠١ .
(٤) يونس : ١٣ . (٥) يونس : ٧٤ . (٦) الروم : ٩ .
(٧) الروم : ٤٧ .

١٣١- وقال تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١) .

١٣٢- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٢) .

١٣٣- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٣) .

١٣٤- وقال تعالى : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ ،قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٤) .

١٣٥- وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ (٥) .

١٣٦- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ * وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ،إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٦) .

١٣٧- وقال تعالى : ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ، جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ (٧) .

١٣٨- وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ، وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ، إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٨) .

وفي الإخبار عن موسى أيضاً :

١٣٩- قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ (٩) .

---

(١) فاطر : ٢٥ . (٢) غافر : ٨٣ . (٣) البقرة : ٩٢ .
(٤) الأعراف : ١٠٥ ، ١٠٦ . (٥) الشعراء : ٣٠ . (٦) القصص : ٣٦ ، ٣٧ .
(٧) العنكبوت : ٣٩ . (٨) غافر : ٢٨ . (٩) الزخرف : ٤٧ .

وفى الإخبار عن مجيء عيسى بالبينات ، وما لها من شأن :

١٤٠- قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي ، وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

والمجيء بالبينات والمجيء بالحكمة بمعنى .

١٤١- قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (٢) .

١٤٢- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً ، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (٣) .

وهكذا شأن المعاندين فى عدم قبول الآيات والشك فيها .

١٤٣- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ، وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ ﴾ (٤) .

وكما ذكر المرسلون بإتيانهم بالآيات ذكروا أيضاً بإسناد المجيء بالكتاب والحق والهدى الصدق إليهم ، وكلها بمعنى .

١٤٤- قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ ، تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ، وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ ، قُلِ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) المائدة : ١١٠ .
(٢) الزخرف : ٦٣ .
(٣) غافر : ٣٤ .
(٤) الروم : ٥٨ .
(٥) الأنعام : ٩١ .

١٤٥- وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ ، وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (١) .

١٤٦- وقال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ، وَقَالُواْ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ، وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

١٤٧- وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ ، يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ (٣) .

١٤٨- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ، قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤) .

١٤٩- وقال تعالى : ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٥) .

١٥٠- وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٦) .

١٥١- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ اقْتُلُواْ أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ وَاسْتَحْيُواْ نِسَاءَهُمْ ، وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾ (٧) .

١٥٢- وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ، قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٨) .

١٥٣- وقال تعالى في قصة البقرة ، ووحيه إلى موسى وإخباره بما سألوا عنه : ﴿ قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ، فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (٩) .

ومما فيه نفي المجيء ببينة .

---

(١) النساء : ١٧٠ .
(٢) الأعراف : ٤٣ .
(٣) الأعراف : ٥٣ .
(٤) القصص : ٨٥ .
(٥) الصافات : ٣٧ .
(٦) الزمر : ٣٣ .
(٧) غافر : ٢٥ .
(٨) الزخرف : ٢٤ .
(٩) البقرة : ٧١ .

١٥٤- قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

قد اتضح بهذه الشواهد التى ذكرناها صحة الوجه الذى ذكرناه : من أن إرسال الرسل لكونه ذا شأن وخطر لما يضطلعون به من مهمة التبليغ والإنذار وتحمل الأذى فى سبيل ذلك ـ لكونه كذلك ناسبه أن يسند إلى الرسل الفعل (جاء) لما له من دلالة على صعوبة الفعل وخطره (٢) .

ولم يأت الفعل (أتى) مع الرسل إلا فى خمسة شواهد ، اقتضى الإتيان به مساق الكلام ومقامه ، وقد جاء فى شاهدين منها مثبتا ، وفى الثلاثة الباقية منفياً ، هى فيما يأتى :

١٥٥- قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ، أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٣) .

وأتتهم رسلهم بالبينات ، العقل هنا (أتى) بلفظ الماضى ، ولم يأت الفعل (جاء) مع أنه قد أتى فى آية أخرى مشابهة لها فى تركيب الجملة ، وفى تذييلها ، وهى :

[١٢٩] قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٤) .

والوجه فى ذلك ـ والله أعلم ـ أن مساق الآية الأولى (التوبة ٧٠) للسؤال عن تسهل مجيء الرسل عليهم السلام ـ بالبينات ، دون اشتمال السياق على ما يدل على

---

(١) هود : ٥٣ .

(٢) أسند الفعل (جاء) إلى الأنبياء والرسل فى تسعة وخمسين شاهداً وقعت فى ثلاث وأربعين آية هى التى حصرناها هنا ، وقد أسند الفعل (جاء) أيضاً إلى الملائكة مسمّون بالمرسلين فى الشواهد الخاصة بالملائكة .

(٣) التوبة : ٧٠ .

(٤) الروم : ٩ .

التهديد عند مجيء الآيات لمن قبلهم ، وكذلك الآية مبدوءة بضمير الغائبين العائد على المسئول عن وصول الأنباء إليهم (ألم يأتهم) فليس ثمة ما يناسب صعوبة المجيء ، ثم أتت الآية التى بعدها مخبرة عن ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً ، مبينة ما اتصفوا به من صفات الإيمان ، ورحمة الله بهم ، وما أعد لهم من الجنات والمساكن الطيبة .

وأما آية الروم (٩) فالسياق فيها مشحون بالحث على السير فى الأرض ، والنظر فى عاقبة من كانوا قبلهم ، بما لهم من قوة وعمارة للأرض ، وجاءت ـ كذلك ـ الآيات التى قبلها فيها الإخبار بغفلة كثير من الناس الذين لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، وعدم تفكرهم فى خلق السموات والأرض ، الذى قام بالحق ، وأن كثيراً من الناس يكفرون بلقاء الله ـ وجاءت الآيات بعدها تبين عاقبة الذين أساءوا السوء ، وأن الله يبدأ الخلق ثم يعيده ، وأن المجرمين سيبلسون عند قيام الساعة ، هذا السياق بما فيه يناسبه الفعل (جاء) لما له من دلالة على صعوبة مجيء الآيات لما فيها من إنذار وتبشير .

وكذلك يختلف مساق الآية الآتية عن مساق آية (التوبة ٧٠) السابقة :

١٥٦- قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ، لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِى أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (١) .

ووجه الاختلاف بين الآيتين ـ والله أعلم ـ أن الآية هذه فبدوءة بالسؤال عن إتيان نبأ الذين من قبلهم من الأقوام السابقين إلا أن مساق السؤال هنا يختلف عنه هناك ؛ لأن السؤال هنا عن إتيان الأنباء للمخاطبين أنفسهم الذين ينذرون بهذه الأنباء وينبهون بها إلى جزاء المعرضين ، وما كان من شأن هؤلاء الأقوام ، وقد بينت الآية الكريمة إظهار الرسل حجتهم الواضحة ، ودعوتهم أممهم إلى الإعلان ، وإلجاءهم إلى ذلك بالدليل الساطع والحجة البالغة ، لذلك حاول الكافرون المعاندون إطفاء هذا النور ، ومنع وصوله إلى الناس ، بإمساكهم أفواه رسلهم ليمنعوا حجتهم ، ويخففوا عن أنفسهم تبعة التكليف وما حمله مجيئهم من إنذار وتخويف ، والله أعلم .

---

(١) إبراهيم : ٩ .

١٥٧- وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ، وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ، وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ... ﴾ أى ـ والله أعلم ـ ولئن تسهل لك الإتيان بكل آية وحجة وبرهان على صحة قبلتك ووجوب اتباعها فلن يتبعوها ، فوجه الإنكار واللوم لهم أنهم يرفضون ولو جاءتهم جميع الآيات وتسهل لرسول الله الإتيان بها ، والآيات هنا آيات إقناع وتدليل على صحة القبلة والدعوة إلى إيمانهم ، وليست آيات تخويف وإهلاك وإنذار ، بدلالة مقام الآية وسياقها .. لكن عندما كان المجيء مسنداً إلى الآية نفسها فى مقام التخويف والزجر والوعيد بالعذاب وفى سياق يدل على ذلك كان الفعل المناسب لها الفعل (جاء) إعلاما بشدة الآية ، والقهر فيها ، ثم تأكدت هذه الدلالة على انصرافهم مع كثرة الزجر بإسناد الفعل إلى لفظ العموم (كل) لشمول جميع الآيات .

وذلك فى الآية الآتية :

١٥٨- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ (٢) .

أى لَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ يطلبونها وتكون فيها إزالة الشبهة وتردهم عن الكفر وتلجئهم إلى الإيمان ـ ما آمنوا ، ولبثوا على ضلالهم وكفرهم حتى يبصروا بأعينهم العذاب الأليم .

فالمجيء هنا فيه قهر وإلجاء وشدة وصعوبة .

وقد جاء الفعل (أتى) منفيا لإفادة نفى تسهل مجيء الرسل فى الآيات الآتية :

[١٤] قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ أى ـ والله أعلم ـ ما تسهل لهم مجيء النذير ،

---

(١) البقرة : ١٤٥ . (٢) يونس : ٩٦ ، ٩٧ . (٣) القصص : ٤٦ .

وما يسرنا لهم ذلك قبلك ، ولكن الله تفضل على أمتك وسهل لها رسالتك ، وسياق الآية الكريمة له دلالته على محض الفضل من الله تعالى ، وذلك باكتناف إنذاره قومه (عليه الصلاة والسلام) بقوله تعالى : ﴿ وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ وقوله تعالى إعلاناً بأنه يرجى تذكرهم : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ فمساق الكلام يدل على الرحمة فى إتيانه ، والرجاء فى هدايتهم ، وأن الله جل وعلا سهله لهم .

[١٥] وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ ﴾ أى ما تسهل لهم مجيئه إليهم .

١٥٩- وقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (٢) .

المعنى ـ والله أعلم ـ أى ما سهلنا مجيء رسول لمن كانوا قبلكم إلا قابلوا هذا التسهيل بالنكران ، واتهامهم ما هم منه براء .

مجيء الآيات والنذر :

ومن مواطن القوة التى يناسبها الفعل (جاء) الحديث عن مجيء الآيات والنذر ، لما للآيات من إظهار الحجة ، والإلجاء إلى الإيمان ، وتثبيت اليقين لمن أراد الله به الخير .

والمراد بمجيء الآيات ظهورها ، والتمكين من معرفتها للعمل بمقتضاها .

١٦٠- قال تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ، وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣) .

قال الزمخشرى : « من بعد ما تمكن منها ... » (٤) .

---

(١) السجدة : ٣ .
(٢) الذاريات : ٥٢ .
(٣) البقرة : ٢١١ .
(٤) الكشاف : ٣٥٤/١

وقال أبو حيان : « من بعد ما أسديت إليه ، وتمكن من قبولها ، ومن بعد ما عرفها »[1] .

وارتباط التمكن والمعرفة بقوة المجيء وظهوره واضح لا يخفى ، ويبعد النكوص بعد هذا التمكن من الزلل ، ومن التبديل بعد العلم .

١٦١- قال تعالى : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

وبين الله تعالى الحكمة من مجيء الآيات وهى منع احتجاجهم عند الحساب بأنه لم يأتهم كتاب يدعوهم إلى الإيمان .

١٦٢- قال تعالى : ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ، فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ، سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾[3] .

والشأن فى الآيات أن تأتى لتأكيد الدعوة إلى الإيمان .

١٦٣- قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ، وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4] .

١٦٤- وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[5] .

وشأن الآيات الدعوة إلى الإيمان والصرف عن الكفر فهى بطبيعتها تهدى إلى الصواب ، ولكل إنسان جزاء اختياره .

---

(١) البحر المحيط : ١٢٨/٢ . (٢) البقرة : ٢٠٩ . (٣) الأنعام : ١٥٧ .
(٤) الأعراف : ٧٣ . (٥) الأعراف : ٨٥ .

١٦٥- قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ، فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ (١) .

والرسل عليهم السلام هم قدوة أهل الإيمان فى الاستجابة لها .

١٦٦- قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِىَ الْبَيِّنَاتُ من رَّبِّى ، وأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وأتباعهم يتمسكون بالإيمان ويصبرون على الأذى لما استقر فى نفوسهم من حجة الآيات البينات والإيمان بها .

١٦٧- قال تعالى حكاية عن سحرة فرعون بعد إيمانهم : ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٣) .

١٦٨- وقال تعالى : ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا ، فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٤) .

ومما هو واضح الدلالة على قوة الآيات وعظم شأن مجيئها أن القرآن الكريم يتحدث عن اختلاف الناس بعد مجيئها إليهم ، وهذا النعى على اختلافهم بعد الآيات دليل على أن الآيات من شأنها أن تمنع هذا الاختلاف وقد جاء ذلك فى شواهد عدة :

١٦٩- قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيَاً بَيْنَهُمْ ، فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ، وَاللهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥) .

١٧٠- قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ

---

(١) الأنعام : ١٠٤ . (٢) غافر : ٦٦ . (٣) الأعراف : ١٢٦ .
(٤) طه : ٧٢ . (٥) البقرة : ٢١٣ .

مَا اقْتَتَلَ الَّذِيـــنَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١) .

١٧١- قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ الـسَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الـصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ، ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً ﴾ (٢) .

١٧٢- وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (٣) .

ويحكى الله سبحانه وتعالى قصة قوم فرعون فى إعراضهم وتكذيبهم الآيات مع كثرتها ووضوحها .

١٧٣- قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، فِى تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَـاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٤) .

ويحذر الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام ، وينهاهم عن الاختلاف كما اختلف الذين من قبلهم .

١٧٤- قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِيـنَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٥) .

ومع تنوع الآيات فى بيان اهتداء من اهتدى ، واختلاف من اختلف ، ودعوة الناس عامة إلى الهدى ـ يبين الله تعالى أن من يرد إضلاله لا تنفع معه الآيات .

١٧٥- قال تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الـرَّسُـولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦) .

ولم نجد الفعل (أتى) جاء مع الآيات إلا فى شاهد واحد وهو :

---

(١) البقرة : ٢٥٣ . (٢) النساء : ١٥٣ . (٣) البينة : ٤ .
(٤) النمل : ١٢ ، ١٣ . (٥) آل عمران : ١٠٥ . (٦) آل عمران : ٨٦ .

١٧٦- قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ ، أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ (١) .

والوجه فى ذلك ـ والله أعلم ـ كون مساق الآية للدلالة على تسهل الآيات ونفاذها ، ووصولها إليه ، ثم إيمانه بها واستقرارها عنده ، لكنه نسيها ، وضل بعد هداية ، لذا نسيه الله جزاء وفاقا .

والتناسب واضح بين تمكنه من البصر وتيسيره له ، ثم إزالته عنه ، وحشره أعمى ـ وبين تسهل الآيات وبلوغها إليه ، وتمكنه منها ، ثم نسيانه لها واتباعه هواه .

ويؤكد الوجه الذى ذكرناه ملاحظة الفرق بين مساق الآية السابقة والآية الآتية :

١٧٧- قال تعالى : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

فالمجىء هنا فى سياق قوة ؛ لاشتماله على رفض ما يتعلل به الكافر يوم القيامة من وجوه التعلل المرفوضة ، كادعاء إمكان تحقق الهداية لو جاءتهم الآيات وهداهم الله إليها ، وأنهم انتظروا ذلك ، فدحض الله احتجاجهم ، وأنكر عليهم ما يدعون ، وأخبر ـ جل وعلا ـ أن الآيات قد جاءت ، لكن شأن الكافرين التكذيب والاستكبار ، فمقام الآية وسياقها يتناسب معهما الفعل (جاء) (٣) .

مجىء القرآن الكريم :

ومما له شأنه وخطره مجىء القرآن الكريم ، لغلبة حجته ، وإلزامه من يخاطبهم بالدليل .

١٧٨- قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ، أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٤) .

المعنى ـ والله أعلم ـ أى جاءهم أمر ، وغلبهم القرآن بحجته ، وهو لم يتيسر لآبائهم فاستكبروا وأعرضوا (٥) .

---

(١) طه : ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٢) الزمر : ٥٩ .
(٣) أسند الفعل (جاء) إلى الآيات فى سبع عشرة آية ، وأسند إليها الفعل (أتى) فى آية واحدة .
(٤) المؤمنون : ٦٨ .
(٥) ينظر جامع البيان : ١٨ / ٤١ .

وقد أسند الفعل (جاء) إليه وهو بلفظ الكتاب ، أو الذكر ، أو الهدى ، أو الموعظة ، أو البرهان ، أو الصدق ، مما هو تسمية بالوصف .

١٧٩- قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وجاءهم (كتاب) له شأنه ؛ لأنه من عند الله ، مصدق لما معهم من الكتب .

[١١٩] وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) .

النور محمد ـ ﷺ ـ أو القرآن ، وعطف (كتاب) عليه للتفسير والله أعلم .

١٨٠- وقال تعالى : ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٣) .

١٨١- وقال تعالى : ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ، وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ، فَاذْكُرُوا آلاَءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

أى جاءكم تذكير لكم وموعظة من ربكم على رجل منكم تعرفون لغته وخلقه .

١٨٢- وقال تعالى فى شأن من اتبع خليل السوء : ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (٥) .

١٨٣- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ (٦) .

---

(١) البقرة : ٨٩ .
(٢) المائدة : ١٥ .
(٣) الأعراف : ٦٣ .
(٤) الأعراف : ٦٩ .
(٥) الفرقان : ٢٩ .
(٦) فصلت : ٤١ .

ومن شواهد تسميته بالهدى الآيات الآتية :

١٨٤- قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَّسُولاً ﴾ (١) .

﴿ جاءهُمُ الْهُدَى ﴾ أى القرآن الذى يهديهم إلى الحق ، أو الرسول ﷺ ، والله أعلم .

١٨٥- وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً ﴾ (٢) .

١٨٦- وقال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ، بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ (٣) .

١٨٧- وقال تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ، وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (٤) .

ومن تسمية القرآن موعظة :

١٨٨- قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ، لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ، فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٥) .

ومن تسمية القرآن برهانًا :

١٨٩- قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ (٦) .

---

(١) البقرة : ٩٤ .
(٢) الكهف : ٥٥ .
(٣) سبأ : ٣٢ .
(٤) النجم : ٢٣ .
(٥) البقرة : ٢٧٥ .
(٦) النساء : ١٧٤ .

ومن تسميته صدقاً :

١٩٠- قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وقد تتعدد تسمية القرآن في الآية الواحدة :

١٩١- قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢) .

١٩٢- وقال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

مجيء الحق :

ومن مجيء القوة مجيء الحق ؛ لأن الحق يأخذ بجميع جهات من يأتيه ، لقوة سلطانه ، وشأنه أن يقذف به على الباطل فيدمغه ، لذا لم يأت معه إلا الفعل (جاء) .

ووجه آخر : أنهم قالوا : إن الأصل في (جاء فلان) عدم احتياجه إلى صلة ؛ لأنه كلام قام . أما (أتى فلان) فإنه يحتاج إلى صلة ، أي إتيان بشيء ، وذلك قبل أن يكثر استعمال أحد اللفظين مكان الآخر (٤) .

وإذا كان الشأن كذلك فإن المناسب للحق إسناد الفعل (جاء) إليه ؛ لكون الحق غاية في ذاته ، لا يحتاج مجيئه إلى صلة ، ويتم الكلام به .

ويراد بالحق ـ في أغلب الشواهد ـ القرآن الكريم .

١٩٣- قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ، فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ، إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) الزمر : ٣٢ .

(٢) يونس : ٥٧ .

(٣) هود : ١٢٠ .

(٤) ينظر الفروق : ص ٣٠٥ .

(٥) المائدة : ٤٨ .

١٩٤- وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ، وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) .

الآية تدل على قوة الحق وهو القرآن الكريم ؛ وظهور برهانه إذ عطف الإيمان به على الإيمان بالله تعالى .

١٩٥- وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ، فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٢) .

١٩٦- وقال تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ، لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ، فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (٣) .

١٩٧- وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ، فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (٤) .

١٩٨-وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ، أَوَ لَمْ يَكْفُرُواْ بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ ، قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ (٥) .

١٩٩- وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (٦) .

٢٠٠- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُواْ مَا هَـذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ ، وَقَالُواْ مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ، وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧) .

---

(١) المائدة : ٨٤ .
(٢) الأنعام : ٥ .
(٣) يونس : ٩٤ .
(٤) يونس : ١٠٨ .
(٥) القصص : ٤٨ .
(٦) العنكبوت : ٦٨ .
(٧) سبأ : ٤٣ .

٢٠١- وقال تعالى : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (١) .

٢٠٢- وقال تعالى : ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَهُمُ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٢) .

٢٠٣- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) .

٢٠٤- وقال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ (٤) .

٢٠٥- وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ، تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ، وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٥) .

وقد جاء الحق في قصة موسى عليه السلام مراداً به الآيات التي أظهرها لفرعون وقومه .

٢٠٦- قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ * قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ، أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (٦) .

وقد أسند الفعل (جاء) إلى الحق مراداً به النصر في الآيتين الآتيتين :

٢٠٧- وقال تعالى : ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٧) .

٢٠٨- وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٨) .

---

(١) سبأ : ٤٩ .
(٢) الزخرف : ٢٩ ، ٣٠ .
(٣) الأحقاف : ٧ .
(٤) سورة ق : ٥ .
(٥) الممتحنة : ١ .
(٦) يونس : ٧٦ ، ٧٧ .
(٧) التوبة : ٤٨ .
(٨) الإسراء : ٨١ .

مجيء العلم :

ومن المجيء الذى له شأن وأهمية مجيء العلم ؛ لأنه يزيل الجهل ، ويرفع الغشاوة عن الأعين ، لما له من ظهور الحجة وقوة البرهان والمنع من الهـوى والضلال ، ولذلك لم يأت معه إلا الفعل (جاء) .

٢٠٩- وقال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (١) .

« ما جاءك من العلم » ـ الدين ، وجعله علماً لأنه معلوم بالبراهين الصحيحة ... وقد فسر العلم بالقرآن ، وبالعلم بضلال القوم ، وبالبيان بأن دين الله هو الإسلام ، وبالتحول إلى الكعبة .... » (٢) .

وهو فى كل ذلك مجيء فيه قوة ووضوح ، لذا ناسبه الفعل (جاء) .

[١٥٧] وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ، وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ، وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

٢١٠- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَاً بَيْنَهُمْ ، وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٤) .

٢١١- وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ من بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) البقرة : ١٢٠ .
(٢) البحر المحيط : ٣٦٩/١ .
(٣) البقرة : ١٤٥ .
(٤) آل عمران : ١٩ .
(٥) آل عمران : ٦١ .

٢١٢- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) .

أى أنهم اختلفوا فضلوا بعد وضوح البرهان ومجيء العلم الذى هو داع لاتباع الدين القويم ، وهو دين الإسلام .

٢١٣- وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ (٢) .

« العلم » القرآن بما فيه من الأحكام والشرائع وكل ما يقوم به الدين ، وما عداه هوى متبع .

٢١٤- وقال تعالى حكاية لما قاله إبراهيم : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ (٣) .

٢١٥- قال تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (٤) .

٢١٦- وقال تعالى فى شأن بنى إسرائيل : ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ، فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥) .

صعوبة المجيء ومعنى الإلجاء :

يرتبط بصعوبة المجيء استعمال الفعل (جاء) فى المقامات والسياقات التى تشعر بمعنى القهر والإلجاء ، وتكون قوة الفعل راجعة ـ فى الحقيقة ـ إلى فاعله الحقيقى ، لا الفاعل فى صنعة الكلام ، من ذلك :

---

(١) يونس : ٩٣ .
(٢) الرعد : ٣٧ .
(٣) مريم : ٤٣ .
(٤) الشورى : ١٤ .
(٥) الجاثية : ١٧ .

٢١٧- قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ، لَقَد تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (١) .

مقام الآية وسياقها يرتبطان بيوم القيامة ، والخطاب للظالمين الذين افتروا على الله الكذب ، وادعوا الباطل ، وتبكيت لهم بأنهم جاءوا إلى ربهم وليس معهم من ظنوا فيهم النفع .

ومعلوم أن كل ما يتصل بذلك يعود إلى فاعله الحقيقى ، وهو الله القاهر فوق عباده - جل وعلا - والمجيء هنا مرده إلى الله ، وليس إلى الفاعل النحوى فى (جئتمونا) فهو مجيء فيه قهر وإلجاء .

٢١٨- وقوله تعالى : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ، لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ (٢) .

قوله تعالى : ﴿ جئتمونا ﴾ المجيء هنا فيه قهر وإلجاء ؛ لأن الله سبحانه وتعالى - هو الذى أجاءهم ، لأنه لو كان الأمر إليهم ما جاءوا ، والسياق يدل على هذا القهر بما تحكيه الآية من باطلهم ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ﴾ لذا لا يكون الفعل (أتى) مناسباً لهذا السياق لما له من دلالة على السهولة ، وكونه من ذات الآتى ، وليس عن قهر وإلجاء .

٢١٩- وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

المقام هنا كالمقام فى الآيتين السابقتين ، والسياق هنا فيه حشر ، وسوق ، وتقرير لهم بما قالوه وافتروه ، فالمجيء هنا ليس من ذات نفوسهم ، وإنما على سبيل القهر والإرغام ، فهو مجيء صعب .

٢٢٠- وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ (١) .

---

(١) الأنعام : ٩٤ .
(٢) الكهف : ٤٨ .
(٣) النمل : ٨٣ ، ٨٤ .
(٤) الزخرف : ٣٨ .

المجيء هنا مجيء قهر لأنه فى يوم القيامة ، وصعوبته ومشقته تعمان العباد جميعاً .

وقد يكون المجيء مرتباً على أمر صعب يكون علة له ، وملجئاً إليه فى اعتبار العرف أو الشرع ، وذلك مثل :

٢٢١- قول الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً ﴾ (١) .

فمقام الآية وسياقها يشيران إلى القهر والإلجاء إلى المجيء لأنهم لا يأتون إلا بعد مصيبة تلجئهم إلى ذلك ، لأن عادتهم التى جبلوا عليها من النفاق والكراهية للرسول ﷺ تتبدى فى بعدهم عن الرسول ﷺ وقت اليسر ومجيئهم إليه وقت الشدة ، على خلاف ما طبع عليه أهل الإيمان ، فقد مدح رسول الله ﷺ الأنصار قائلا : « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع » (٢) .

٢٢٢- وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ (٣) .

المجيء فى الآية للاستغفار ، وهو مرتب على علته ، وهو ظلم النفس ، ذلك أن الشرع يدعو إلى أن يلجأ العاصى إلى الله تعالى تائباً ، ويذهب إلى الرسول ﷺ معتذراً معلناً توبته إلى الله جل وعلا .

وقد تحول صيغة الفعل للتعدية ، ويسند إلى السبب الظاهر فيكون له مزيد دلالة على القهر والإلجاء .

٢٢٣- قال تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيًّا ﴾ (٤) .

فالإجاءة قهر وغلبة ، أى ألجأها المخاض واضطرها فحركة الفعل واضحة الصعوبة يناسبها الفعل (جاء) وما يتصرف منه .

* * *

---

(١) النساء : ٦٢ .

(٢) انظر الحديث فى النهاية فى غريب الحديث والأثر . لابن الأثير باب الفاء مع الزاى جـ ٣ ص ٤٤٣ .

(٣) النساء : ٦٤ .

(٤) مريم : ٢٣ .

المبحث الثانى

المجىء عن دعوة وتوقع
والإتيان دون دعوة

المبحث الثانى

المجىء عن دعوة وتوقع .. والإتيان دون دعوة

يختلف الإتيـان عـن المجىء فى كونه لا يكون عن دعوة ، وإنما عن رغبـة وطواعية ، دون قهر أو إلزام ، أما المجىء فإنه يكون مطلوباً ، أو متوقعاً منتظراً بقرائن الأحوال والسياق .

وهذا الفرق يأتلف مع اختلافهما ، من حيث صعوبة المجىء وسهولة الإتيان ، والذى فصلنا القول فيه فى المبحث السابق ؛ إذ إن المجىء عن دعوة وانتظار يكون صعباً ، لما فيه من تبعة الطلب والتكليف ، ويكون دون دعوة سهلاً ،كما أن صعوبة المجىء لا تكون إلا مصحوبة بدواعيه ودوافعه .

وللقرآن الكريم لطائف كثيرة فى هذا الباب ، تتجلى عند إشراق النفس لتلقيها من شواهد الفعلين . من ذلك :

٢٢٤- قـوله تعـالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ، قَالُواْ هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ، وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ، وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

قولَه تعالى : ﴿ وَأُتُوا بِهِ .. ﴾ أى رزقـوا إياه من غير أن يطلبوه ، أو ينتظروه ، فهم لا يعلمون به إلا بعد أن يؤتَى به إليهم ، كما لا يخطر لهم على بال ، لأنه من نوع لم يعهدوه .

قال البقاعى : ﴿ وأُتوا به ﴾ أى جىء (٢) لهم بهذا الجنس المرزوق لهم فى الدارين فى الجنة من غير تطلب وتشوّق (٣) .

---

(١) البقرة : ٢٥ .

(٢) يظهر من قول البقاعى : « أى جىء به » الفرق بين الإعجاز القرآنى فى المجىء بالكلمة المناسبة « أتوا » وبين ما هو من كلام البشر ودونه فى درجة الفصاحة والبلاغة ـ وأنظر فى هذا المقام فصل « الجمل وكلماتها » ص ٢٣٦ من كتاب إعجاز القرآن للرافعى .

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآى والسور : ١٩٣/١ .

وللسياق ـ أيضاً ـ دلالته على أن ما أتوا به دون طلب ؛ لأن قولهم : ﴿ هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ يدل على أنهم لم يطلبوا ما أتوا به ولم ينتظروه ؛ لأنه شيء آخر غير معهود لهم . فهو وإن اتفق مع ما رزقوه قوة من قبل فى الجنس إلا أنه يختلف عنه فى النوع ، فشتان ما بين النوعين ، وها من تجليات الله تعالى لهم بنعمه الكثيرة التى لا تنفد ولا تحصى .

[٧] وقال تعالى فى نفى الحرج عن الضعفاء الذين لا يستطيعون الجهاد : ﴿ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ (١) .

﴿ وأَتَوْكَ ﴾ يدل المقام والسياق على أن الإتيان لم يكن عن دعوة وتكليف لأنهم ـ رضى الله عنهم ـ رفع عنهم تكليف الجهاد لظرفهم الخاص بهم ، فكان إتيانهم بمحض رغبتهم ، دون أن يطلب منهم ذلك ، فاجتمع فى الفعل (وأتى) الدلالة على السهولة ، وعلى أنه دون طلب أو انتظار .

[٨] وقال تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ (٢) .

﴿ فَأَتَتْ به ﴾ الوجه فى الإتيان بالفعل (أتى) ـ والله أعلم ـ أنه مجيء سهل دون طلب ، فقد كان من تلقاء نفسها بعد أن رأت وعلمت من البشارات والكرامات أنها بخير ، قال أبو حيان : « فأتت به ـ قيل : إتيانها كان من ذاتها .. وقيل : أرسلوا إليها لتحضرى إلينا بولدك ... » (٣) .

والذى نرتضيه هو القول الأول ، وهو أن إتيانها من ذات نفسها ، لأنه لو ساغ أن يطلبوا منها أن تحضر إليهم لما ساغ أن يظن بهم أنهم يرغبون فى ولدها ، ويطلبون حضورها به ، وعليه فالإتيان دون دعوة ، وللسياق دلالته على ذلك أيضاً ـ لما للفاء فيه من دلالة على سرعة الأحداث وتتابعها ، وإسلام الحدث لما يليه مباشرة .. ﴿ ... وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ... فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِى ... فَكُلِى وَاشْرَبِى ... فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ... فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ... ﴾ الآيات وقد اختلف المفسرون فى مدة حمل عيسى عليه السلام ، ويروون عن

---

(١) التوبة : ٩٢ .
(٢) مريم : ٢٧ .
(٣) البحر المحيط : ١٨٦/٦ ، وينظر جامع البيان : ٧٦/١٦ .

ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ « أنه قال : خرجت من عندهم حين أشرقت الشمس ، فجاءتهم عند الظهر ومعها صبى تحمله ، فكان الحمل والولادة فى ثلاث ساعات من نهار »[1] .

وقوله : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيًّا ﴾ بالفعل (جاء) لأن ماجيء إليه من الفرية والبهتان صعب مستغرب ، ولا يكون المجيء إلى ما يصعب إلا على وجه من الاستدعاء والدوافع إليه .

[٤] وقال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[2] .

قوله : ﴿ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ أى إتيانا سهلاً لا صعوبة فيه كما سبق بيانه من أنه من القادر على الفعل جل وعلا ، وهو ـ أيضاً ـ إتيان لا عن طلب ، ولا عن إلزام ووجوب ، وإنما هو محض فضل من الله تعالى .

وللسياق دلالته على انتفاء الانتظار والترقب للزيادة على الموازين بقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ عندئذ ينتظر عدل الله تعالى ، ثم يتفضل الله تعالى على عباده بإكرامهم . بزيادة ما يحتاجون إليه لإكمال موازينهم ، فلله الحمد فى الأولى والآخرة .

وقد يدق المسلك للوصول إلى وجه الإتيان بالفعل (أتى) مع وجود طلب واستعجال للآتى ، وذلك مثل :

[٧] قول الله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] .

فقد يظن بطلان ما قررناه من أن (أتى) يكون عن غير دعوة وانتظار لأن فى السياق ـ هنا ـ طلبا واستعجالاً .

لكن إنعام النظر إلى الآية يصل بنا إلى إدراك اختلاف زمنى الفعلين وجهتهما ؛ لأن المعنى ـ والله أعلم ـ تسهل أمر الله وحصل وعدا فلا تستعجلوه وقوعاً[4] .

فالفاء هنا تفيد ترتب النهى عن الاستعجال على حصول أمر الله تعالى وتحققه

---

(١) ينظر جامع البيان : ٦٥/١٦ الكشاف : ٥٠٦/٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤١٣٨ .

(٢) الأنبياء : ٤٧ . (٣) النحل : ١ .

(٤) البحر المحيط : ٤٧٢/٥ .

وعداً ، وعلى هذا فالإتيان ليس مترتباً على الاستعجال ؛ لأنه ـ أى الإتيان ـ عليه ، وحاشا لله أن يكون إتيانه بأمره إجابة لدعوتهم .

فأمره وتدبيره ووعده لعباده دون إلزام منهم له ، أو اجتراء على ما تقتضيه حكمته فى خلقه ، وإن كانوا يسيئون باستعجال ذلك ، فهم لا يطلبون الإتيان ، لكنهم يستعجلونه ، وفرق كبير بينهما .

وكذلك يندفع اللبس فيما لو قيل : عبر بالماضى عن المضارع لقرب وقوعه [1] لأن ما يستعجلونه وقوع الأمر ومجيئه ، لا الإخبار بقرب وقوعه الذى هو مدلول المجاز .

[٢] وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهاً ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [2] .

﴿ ائْتِيَا ﴾ الأمر هنا أمر تكوين ، فليس فيه فاصل بين الأمر ونفاذه ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ فلما كانت الدعوة والنفاذ شيئاً واحداً كان الفعل (أتى) بدلالته على السهولة والطاعة والنفاذ هو المناسب فى هذا المقام ، وجاءت الإجابة ﴿ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ .

ويدل على إعجاز هذا التناسب فى الآية أنه لو قيل فى غير القرآن الكريم :

﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ لأحسنا بتدافع دلالة الكلمتين « جئنا » و « طائعين » لما للأولى من دلالة على صعوبة الحركة ، وكون المجىء إجابة لطلب واستدعاء ، وما للثانية ﴿ طَائِعِينَ ﴾ من دلالة على سهولة الحركة مع مصاحبة الإتيان للأمر ، دون فاصل بينهما .

فإن قيل : الدعوة فى الآية غير خفية ، فيكون الإتيان أيضاً عن دعوة كالمجىء . قلنا : إنما أثبتنا أن المجىء يكون عن دعوة دون الإتيان ، وأردنا به كونه مرتباً عليه ترتب المعلول على العلة ، أما والدعوة فى الحقيقة هى الإتيان بهما ، فليس الإتيان عن دعوة ؛ لأنهما بمعنى واحد ، ذلك أننا نقصد بالدعوة أن تسبق المجىء دواعيه .

ومما لا شك فيه أن الإتيان طوعا لا يكون عن دعوة ، فالإخبار بإتيانهم كذلك يفيد أن الإتيان لم يكن للدعوة وإن كان مصرحا بها ، فصدور الفعل فى أصله دون دعوة ، بصرف النظر عن وجودها ، والله أعلم .

---

(١) البحر المحيط : ٤٧٢/٥ .

(٢) فصلت : ١١ .

[٣] وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ ، وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (١) .

« الداخر » الصاغر الراغم ، والمعنى أنهم يأتون الموقف بعد النفخة الثانية إتيان فزع وانقياد إلى الله تعالى ، إذ لا يكون منجى منه إلا إليه (٢) .

والتناسب بين الفعل « أتى » وقيده « داخرين » المبين حال ذلتهم ـ جلى لا يخفى ـ فحسبهم للإتيان ما هم فيه من الفزع والهوان ، والهروب مما هم فيه ، ومما هو زيادة فى تقرير ما أثبتناه ، من أن الإتيان يكون طواعية دون دعوة أو إلزام ، وأن المجىء يكون على جهة الرغبة والانتظار ـ التدبر فى الآيات الآتية :

[٩] قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

[١٠] وقال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَءَا نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (٤) .

[١١] وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً ، قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) .

الآيات فى السور الثلاث تتحدث عن مجىء موسى عليه السلام إلى ما رآه وظنه ناراً رجاء أن يأتى منها بما يقضى به بعض حاجاته والوجه فى الإتيان بالفعل (جاء) فى

---

(١) النحل : ٨٧ .
(٢) ينظر الكشاف : ١٦١/٣، وجامع البيان : ٢٠/٢٠
(٣) النحل : ٧ ، ٨ .
(٤) طه : ٩ ، ١٠ ، ١١ .
(٥) القصص : ٢٩ ، ٣٠

سورة النمل ـ والله أعلم ـ أن المجيء عندئذ كان مطلوباً لقضاء حاجة والإتيان بما يصطلى به هو وزوجه فهو مجيء فيه جهد ومشقة ، وهو لطلب وحاجة .

أما الإتيان بالفعل (أتى) فى سورتى طه والقصص فلتصوير مشهد آخر من القصة ، وعرض حدث لم يكن مطلوباً ولا متوقعا عند موسى عليه السلام ، لأنه بعد أن طلب النار ، وجاء إلى المكان الذى آنسها فيه ، وتكشفت له الحقيقة بأن ما ظنه ناراً ليس بنار ، دخل الوادى المقدس الذى تجلى له فيه النور ، هذه الحركة كانت حركة إتيان لأنه لمْ يكن يطلبها عند ترك زوجته ، وليس حركة مجيء ، كالحركة عندما ترك زوجه ، وجاء يطلب النار .

وشواهد المجيء الواقع لدعوة وطلب كثيرة فى القرآن الكريم .

[١٥٣] قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا ، قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ، فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

الآية فى سياق عرض قصة موسى عليه السلام مع بنى إسرائيل عندما أمرهم بذبح بقرة بأمر الله تعالى ، فألحوا عليه بأسئلة كثيرة ، منها قولهم : « ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا » فأجاب طلبهم بالآية .. والوجه فى الإتيان بالفعل « جاء » أنه عن طلب ، بل وإلحاح فيه .

والمجيء فى الآية بالحق ، لكن عندما كان الإتيان بالحق دون طلب ، وعلى سبيل التيسير والتفضيل ، دون أن يكون ثمة انتظار ـ جاء الفعل « أتى » فى هذه الآية :

[١٥٥] قال تعالى ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢) .

أخبرت الآية عن الإتيان بالحق ، كالآية السابقة ، لكن فرق ما بينهما أن الإتيان هنا لم يسبق بما يدل على الطلب ولم يكن ثمة انتظار له ، فالآيات التى سبقت هذه الآية قررت لهم الوحدانية عن طريق توجيه بعض الأسئلة عن رب السماوات والأرض ، ورب العرش العظيم ، وعن من يجير ولا يجار عليه ، إلى أن تأتى الجواب الحق وتيسر لهم إثبات وحدانية الله تعالى .. دون أن يطلبوا ذلك أو ينتظروه .. فضلاً عن إعراض الكثير من الخلق ، ومن أجل ذلك كان الوجه فى هذه الآية ـ والله أعلم ـ الإتيان بالفعل « أتى » دون « جاء » .

---

(١) البقرة : ٧١ .

(٢) المؤمنون : ٩٠ .

وفى قصة موسى عليه السلام ـ مع فرعون ، وطلبه الإتيان بالسحرة من كل مكان ، ليناجزوا موسى عليه السلام ـ يأتى الفعل « جاء » عند الإخبار بإجابتهم الدعوة ، مراعاة لهذا الوجه الذى ذكرناه .

٢٢٥- قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (١) .

٢٢٦- وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ (٢) .

٢٢٧- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (٣) .

واضح فى الآيات أن مجيء السحرة كان عن طلب واستدعاء من فرعون وإجابة له ، فكان هو الوجه فى الإتيان بالفعل (جاء) .

وبتدبر الآيات فى هذه القصة نرى من وجوه الإعجاز القرآنى عجبا ! فالفعل (جاء) يأتى عند طلب فرعون مجيء السحرة وانتظارهم ، لكن القرآن الكريم يلفت باللفظة الموحية إلى أن هذا المجيء ما هو إلا ضرب من العناد ، والمماطلة ، والكفر ، ورفض للآيات البينات التى جاء بها موسى عليه السلام ؛ وذلك بالإتيان بالفعل « أتى » للدلالة على أن إتيان فرعون بما أتى به ، لا يؤبه به ، وليس موضع ترقب وانتظار ـ فى الآية الآتية :

٢٢٨- قال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ (٤) .

فإتيانه غير مرغوب ، ولا قيمة له بحيث يكون محل اهتمام ، ولسياق الآية التى جاءت بعد ذلك تأكيد على ذلك ، قال تعالى :

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ ، لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ

---

(١) الأعراف : ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ (٢) يونس : ٧٩ ، ٨٠ .
(٣) الشعراء : ٤١ . (٤) طه : ٦٠ .

مَنِ افْتَرَى ﴾ [1] ، أى ويلكم فيما افتريتم وجمعتم من كيد ، كان أولى بكم أن تتركوه وتستجيبوا مخافة عذاب الله ، والله أعلم .

وكما يكون المجيء عن دعوة حاضرة قد يكون عن دعوة وموعد سابقين .

٢٢٩- قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ، قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] .

المجيء لدعوة سابقة وفى موعد محدد كما أخبرت الآية التى قبل هذه ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [3]، فالمجيء لميقات محدد زمانا ومكانا ، وواضح ما فيه من تبعة التكليف وهيبة الموقف ، وكذلك من خبر هذا الوعد :

٢٣٠- قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى ﴾ [4] .

وهكذا يؤتى بالفعل (جاء) عند إنفاذ وعد سابق ، ومن ذلك أيضاً .

[٦٠] قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ [5] .

[٦١] قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ [6] .

---

(١) طه : ٦١ .
(٢) الأعراف : ١٤٣ .
(٣) الأعراف : ١٤٢ .
(٤) طه : ٤٠ .
(٥) الإسراء : ٥ .
(٦) الإسراء : ٧ .

[٣٩] وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (١).

[٦٢] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ ، وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ (٢).

[٥٩] وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (٣).

بهذه الشواهد نكون قد استوثقنا من الوجه الذى ذكرناه من أن المناسب لما يكون موعودا به منتظرا ـ الفعل « جاء » ويؤكد ذلك ـ أيضاً ـ أننا نلحظ فى آية الإسراء السابقة (١٠٤) أنه قد أتى بالفعل « جاء » مرتين لأنه المناسب فى هذا الموضع ؛ ولو كان الفعلان متساويين فى الدلالة والاستعمال لتنوعت بهما العبارة فى الآية الكريمة .

ولا يتعين أن تكون الدعوة إلى المجىء ممن جىء إليه ، بل يصح أن تكون من آخر ، مثال ذلك :

٢٣١- قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ، قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ، إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ (٤).

مجىء الرسول إلى يوسف عليه السلام بناء على طلب الملك وأمره ، وليس لطلب ممن جىء إليه ، وهو يوسف عليه السلام .

٢٣٢- قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ، قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ ، نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥).

الفعل « جاء » الأول كان بناء عن طلب ، لأن فى الكلام إيجازاً والتقدير : فذهبنا إلى أبيهما فقصتا عليه أمر الذى أسرع بالسقى لهما فأمر إحداهن أن تدعوه ليجزيه أجر ما سقى لهما ، فجاءته إحداهما .. فالمجىء هنا ليس إجابة لطلب من جىء إليه ، وهو موسى عليه السلام ، وإنما لطلب شعيب عليه السلام ، هذا فضلا عما للسياق من دلالة

---

(١) الإسراء : ١٠٤.
(٢) الكهف : ٩٨ .
(٣) الشعراء : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
(٤) يوسف : ٥٠ .
(٥) القصص : ٢٥ .

على أن موسى قد اتجه إلى ربه ، داعيا أن يرزقه خيراً قائلا : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ من خير فقير ﴾ وفى التعبير بقوله « أنزلت » بمعنى « تنزل » دلالة على شدة حاجته وبالغ رجائه ، فأجاب الله دعاءه ، وهيأ له مجيء الفتاة ، وللفاء فى قوله « فجاءته » دلالة على سرعة إجابة المولى دعاءه .

أما « جاء » فى قوله تعالى : « فلما جاءه » فإنه إجابة لدعوة شعيب له ، المصرح بها فى قوله تعالى حكاية لقول الفتاة : « إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ... » والله أعلم .

ومما يكون مجيئه منتظراً لكونه متيقن الوقوع الموت والأجل ، فيكون المناسب له إسناد الفعل « جاء » إليه دون الفعل « أتى » من شواهد ذلك :

[٦٣] قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (١) .

وقد جاءت جميع شواهد الموت بإسناد الفعل « جاء » إليه (٢) ، ما عدا شاهداً واحداً ، قد صاحبه من قرائن الأحوال والسياق ما يدل على الغفلة عن وقوع الموت ، وعدم انتظاره وهو :

٢٣٣- قول الله تعالى حكاية لما يقوله المجرمون يوم القيامة : ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ (٣) .

« اليقين » الموت ، واللفظ صريح فى أنه متيقن الوقوع ، فهو حق يشاهد كل ساعة ، ويقين لا يمارى فيه أحد ، فكان يناسبه الفعل « جاء » لكن لما كانوا يستمرون على التكذيب بيوم الدين وينغمسون فى الدنيا وملذاتها صاروا كأنهم يعتقدون الخلود فى الدنيا ، وينكرون الموت ، فناسب ذلك الإتيان بالفعل « أتى » للدلالة على تسهل الموت وإتيانه لهم وهم لا يشعرون ، وفى هذا من الدلالة على أن الإتيان لا يكون منتظراً متوقعاً .

ومما يكون مجيئه متوقعاً منتظراً لكثرة وقوعه فى حياة الناس أو تلبسهم به - مجيء الحسنة والسيئة .

---

(١) الأنعام : ٦١ .
(٢) ثم ذكر هذه الشواهد فى المبحث الأول من رقم ٦٣ إلى رقم ٧١ .
(٣) المدثر : ٤٦ ، ٤٧ .

٢٣٤- قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هذه ، وإن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ ، أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

قال الزمخشرى فى معرض بيان علة مجيء « إذا » وتعريف الحسنة : « لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب ، لكثرة اتساعه » (٢) .

وعليه فالوجه إسناد « جاء » للحسنة لأن ما ووقوعه كالواجب يكون متوقعا منتظراً .

٢٣٥- وقال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا ، وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

٢٣٦- وقال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ، وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ، هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

٢٣٧- وقال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ، وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

ومما يكون مجيئه منتظراً مطلوباً لكونه محل رجاء ومرغوباً لا يغيب عن البال ـ النصر والفتح ، لذا فالوجه فيه إسناد الفعل « جاء » إليه .

٢٣٨- قال تعالى : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ، وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦) .

فالوجه فى الإتيان بالفعل « جاء » مسندا إلى الفتح لكون الفتح منتظراً مطلوبا وللسياق دلالته ـ أيضاً ـ على هذا الانتظار فى قوله تعالى ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا ﴾ أى إن تطلبوا الفتح أيها المعاندون ، فقد جاء ولكنه فتح نصر للمؤمنين ، وهزيمة ودحر للكافرين .

٢٣٩- وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ

---

(١) الأعراف : ١٣١ . (٢) الكشاف : ١٠٦/٢ . (٣) الأنعام : ١٦٠ .
(٤) النمل : ٨٩ ، ٩٠ . (٥) القصص : ٨٤ . (٦) الأنفال : ١٩

النَّاسِ كَعَـذَابِ اللهِ ، وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ، أَوَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

ولكون النصر فى الآية من نوع خاص فيه غنيمة فهم ينتظرونه ، لذا أتى معه بالفعل « جاء » ولكونه نوعاً خاصاً لا يتحقق دائماً أتى معه بأداة الشرط « إن » والله أعلم (٢) .

٢٤٠- وقال تعـالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (٣) .

وهكذا فجميع الآيات التى جاء فيها النصر أسند إليه الفعل « جاء » ما عدا آية واحدة اقتضى مساق الآية أن يؤتى فيها بالفعل « أتى » وهى :

[٩٣] قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ، وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ، وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٤) .

فالوجه فى الإتيان بالفعل « أتى » فى هذه الآية ـ والله أعلم ـ ما فى سياق هذه الآية من دلالة على ترك الرسل العجلة فى طلب النصر ، وانتظاره بصبر وتحمل ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ ففى هذا السياق دلالة واضحة على ما ذكرنا من تحمل التكذيب والأذى ، والصبر عليه صبراً مغيى بالنصر موصولاً به ، فتسهل لهم النصر ، وتحقق لهم وعد الله « إن الله مع الصابرين » و « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا » ثم هم نفر مخصوص من الرسل لهم مزيد عزم وصبر ، دل على ذلك تنكير « رسل » .

لكننا إذا نظرنا إلى سياق فى الآية الآتية وجدناه شيئاً آخر :

٢٤١- وقال تعـالى : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٥) .

---

(١) العنكبوت : ١٠ .

(٢) ينظر « أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط (إن وإذا ولو) ومواقعه فى القرآن الكريم رسالة دكتوراه للمؤلف مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة ص ٨١ ، ٢١٧ .

(٣) النصر : ١ . (٤) الأنعام : ٣٤ . (٥) يوسف : ١١٠

الحال هنا مستدعية للنصر طالبة له ، والسياق قد تضمن ما يدل على أنهم عليهم السلام ـ قد بلغ بهم اليأس حدًا استبطئوا معه النصر ، بعد أن فقدوا الأمل فى أن يتبعهم أحد ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ... ﴾ (١) فإذا بالنصر الذى يلحون فى طلبه ، وينتظرونه مستصرخين متلهفين يقع ، ويتحقق لهم ، فالوجه فى الإتيان بالفعل « جاء » فى الآية أنه المناسب لما تضمنه السياق من دلالة على الترقب والانتظار ، والله أعلم .

دلالة السياق على انتظار المجيء :

رأينا فى الشاهدين السابقين كيف ارتبط الإتيان بالفعلين :

« جاء وأتى » بالسياق الذى جاءا فيه ، وتبين لنا أن استشفاف ما توحيه قرائن الأحوال والسياق ، وما تستدعيه من التراكيب والألفاظ ، والوصول إلى فقه خصائص النظم القرآنى ـ تبين أن ذلك يحتاج إلى حس رهيف ، وتأمل دقيق .

وفى الشواهد الآتية نرى كيف تبعث قرائن الأحوال فى النفس طلب الفعل وانتظار وقوعه .

[٢٠] قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (٢) .

المقام هنا للحديث عن علم الله تعالى وحكمته ، والإعلام بأنه لو كتبت كلمات الله بماء البحر لنفد ماؤه دون أن تنفد الكلمات ؛ لسعة علم الله وعدم الإحاطة به ، وهذا المقام يستلزم أيضاً نفى نفاد الكلمات ولو جيء بمثل ماء البحر مدداً متواصلاً .

فالوجه فى الإتيان بالفعل « جئنا » ـ والله أعلم ـ استدعاء مقام الإخبار بعدم نفاد الكلمات ولو جيء بمثل البحر مدداً له ، ويستدعيه أيضاً مساق الكلام ففى الآية التى قبل هذه الآية إخبار باستمرار الحياة فى الجنة والخلود فيها للذين آمنوا ، فهو سياق بيان عدم نفاد فضل الله ونعمه ، وإن من له النعم الكثيرة التى لا تنفد له الحكمة الباقية التى لا تحيط بها العقول ، ولا يحصرها بالكتابة قلم ولو جيء بأمثال البحر مداداً .

---

(١) البقرة : ٢١٤ (٢) الكهف : ١٠٩

٢٤٢- وقال تعالى : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ، فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ، وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١).

تتحدث الآيات عن أهل النفاق الذين يسارعون فى الكفر ، وعن اليهود الذين يسمعون الكذب على الله ورسوله ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، فحالهم حال المتردد بين الذهاب هناك مرة ، والمجيء هنا أخرى ، وهذا هو الوجه فى الإتيان بالفعل « جاء » لكونه منتظرا متوقعاً ، فى حياة هؤلاء الناس ، والله أعلم .

٢٤٣- وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

الآية فى مقام الحديث عن مجيء الذين يؤمنون بآيات الله إلى رسوله ﷺ فالمجيء متوقع منتظر ، وللسياق دلالته ـ أيضاً ـ على ذلك ؛ فقد جاء فى الآية التى قبل هذه الآية نهى الله لرسوله عن طرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ، فهؤلاء لهم حركة مجيء إلى الرسول ﷺ ، وهو أمر معتاد فى حياة الرسول والمؤمنين به .

٢٤٤- وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣).

الآية فى سياق الحديث عن الذين آمنوا بربهم من المهاجرين والأنصار ومن يدخلون بعدهم فى دين الله أفواجاً على امتداد الأيام ، فتحدثت الآيات عن المهاجرين فى قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ .... ﴾ الآية ٨ ثم عن الأنصار فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ .... ﴾ الآية ٩ .. هذا التتابع فى بيان حال هؤلاء يستدعى بيان حال أقوام يجيئون بعدهم فجاءت الآية ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ ... ﴾ فالمجيء فى هذا السياق وفى بيان حال هؤلاء متوقع منتظر . وهذا هو الوجه فى الإتيان بالفعل « جاء » وهو كونه متوقعاً منتظراً ، والله أعلم .

---

(١) المائدة : ٤٢ . (٢) الأنعام : ٥٤ . (٣) الحشر : ١٠ .

٢٤٥- وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١).

تشبه الآية الكريمة أعمال الكافرين فى عدم نفعها ، والرجوع منها بغير طائل ، بالسراب فى الصحراء يظنه الظمآن ماء ، فلا يلبث بعد طلبه إلا أن يرجع خائباً ، فمآلهما الخسران فى سعيهما .

والآن قد طرحت فى نفس السامع مرأى هذا السراب ، وأن الرائى له ظمآن ، يحثه ظمؤه إلى حسبانه ماء ـ كل هذه استدعاءات سياقية تجعل المجىء منتظرا ، وأن يكون غاية هذا الحسبان ، وسبق الفعل « جاء » بالأداة « حتى » وسوق ذلك فى معرض الحاصل المحقق ؛ بجعله فى سياق أداة الشرط « إذا » لتدل على الجزم بالمجىء .

٢٤٦- وقال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ، وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (٢).

تعميم الحكم بإرسال رسول إلى كل أمة ، لا يخفى معه انتظار كل أمة لرسول يأتى إليها لهدايتها ، وهذا هو الوجه فى الإتيان بالفعل « جاء » فى الآية ، وفى جميع الآيات المخبرة بمجىء الرسل وكذلك فى الآيات المخبرة بمجىء الآيات التى هى حجج الرسل عند مجيئهم ، ما عدا لبعض الشواهد التى جاء فيها الفعل « أتى » وذلك لنكتة ذكرناها ثمة فى المبحث الأول .

[١٠٠] وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّن أَنفُسِهِمْ ، وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاَءِ ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣).

السياق فى هذه الآية كالسياق فى الآية التى سبقت ـ يتضمن الإخبار ـ ببعث شهيد فى كل أمة ، وهذا ولا شك يطرح فى النفس ترقبه وانتظار مجيئه ، لذا كان الوجه الإتيان بالفعل « جاء » دون الفعل « أتى » .. والله أعلم .

وهكذا كان السياق القرآنى العام لآيات الرسل دالا على انتظار مجيئهم وترقبه ، ومن هنا كان الفعل المسند إليهم ـ كما قلنا ـ هو الفعل « جاء » .

---

(١) النور : ٣٩ . (٢) يونس : ٤٧ . (٣) النحل : ٨٩ .

٢٤٧- وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ، كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ، فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ، فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

السياق ، واضح الدلالة ـ كالآيات السابقة ـ على مجيء الرسل وصيرورته منتظراً مترقباً ، لذا كان الفعل « جاء » هو المناسب له .

٢٤٨- وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) .

سياق الآية يتضمن البشارة بمجيء المصطفى ﷺ ، فدلالة ذلك على انتظار المبشر به ، وشدة ترقبه لا تخفى ، وهو مجيء له شأنه ، وخطره ، وجلاله ، فليس غريباً أن يكون الكون كله متطلعاً لنور مقدمه عليه الصلاة والسلام .

٢٤٩- وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ، قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ ، وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

ما تضمنه السياق من إقسامهم يدل على أنهم ـ ظاهراً ـ ينتظرون ما أقسموا عليه ؛ وهذا هو الوجه فى الإتيان بالفعل « جاء » فضلاً عن كونه مجيئاً ذا شأن وأهمية كما هو ظاهر حالهم .

والفعل « جاء » الثانى فى سياق إجابة ما يطلبون وينتظرون .

ونظيرها أيضاً :

[١١٥] وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُم نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾ (٤) .

والوجه فى هذه الآية كالوجه فى الآية السابقة .

٢٥٠- وقال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ

---

(١) المؤمنون : ٤٤ . (٢) الصف : ٦ . (٣) الأنعام : ١٠٩ (٤) فاطر : ٤٢ .

أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

٢٥١- وقال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٢) .

٢٥٢- وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

٢٥٣- وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (٤) .

السياق فى الآيات السابقة سياق سوق وعرض ، وإنفاذ أمر الله القهار ، فالمجىء فيه مطلوب منتظر .

ولقصص القرآن الكريم سياقاته العامة التى تتتابع فيها الأحداث ، ويكون للسامع لها والعارف بها انتظار لمجيئها ووقوعها من فاعليها ، فمن ذلك قصة يوسف عليه السلام .

٢٥٤- قال تعالى : ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ (٥) .

الفعل « جاء » هنا واقع فى سياق عرض أحداث القصة المشار إلى قصتها على الرسول ﷺ بقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ من قَبْلِه لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٦) .

فالمجىء هنا متوقع منتظر بعد إخبار الله تعالى نبيه بأنه سيقص عليه فى الآيات فى السورة ، وكذلك المجىء فى الآيات الآتية التى تسرد أحداث القصة :

٢٥٥- قال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ، قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ، وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٧) .

٢٥٦- وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ (٨) .

---

(١) الزمر : ٧١ .
(٢) الزمر : ٧٣ .
(٣) فصلت : ٢٠ .
(٤) سورة ق : ٢١ .
(٥) يوسف : ١٦
(٦) يوسف : ٣
(٧) يوسف : ١٩ .
(٨) يوسف : ٥٨ .

٢٥٧- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (١).

٢٥٨- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ، قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

وهكذا لم يأت فى قصة يوسف الفعل « أتى » بلفظ الماضى ؛ وذلك للوجه الذى ذكرناه من كون الفعل « جاء » يؤتى به عند انتظار الفعل ووقوعه ، ومعلوم أن تتابع حركة الأحداث فى القصة منتظر مترقب .

ومن ذلك قصة رسول الله ﷺ مع ابن أم مكتوم :

٢٥٩- قال تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الأَعْمَى ﴾ (٣).

٢٦٠- وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ (٤).

وكذلك قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وبلقيس ملكة سبأ ، لم يأت فيها إلا الفعل « جاء » ولم يأت الفعل« أتى » .

٢٦١- قال تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (٥).

٢٦٢- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ، فَمَا آتَانِ اللهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ (٦).

٢٦٣- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ، قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ، وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (٧).

وكذلك فى قصة إبراهيم ولتتابع الأحداث فى سياقها القرآنى أتى فيها بالفعل (جاء) لكونه متوقعاً منتظراً فى هذا السياق .

---

(١) يوسف : ٨٨ . (٢) يوسف : ٩٦ . (٣) عبس : ١ ، ٢ .
(٤) عبس : ٨ ، ٩ ، ١٠ . (٥) النمل : ٢٢ . (٦) النمل : ٣٦ .
(٧) النمل : ٤٢ .

٢٦٤- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا ، قَالَ سَلَامٌ ، فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (١) .

٢٦٥- وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٢) .

٢٦٦- وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ (٣) .

[١٠٤] وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٤) .

٢٦٧- وقال تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ (٥) .

وهكذا فحركة المجيء متوقعة منتظرة في إطار أحداث القصة ، لذا كان الوجه الإتيان بالفعل « جاء » .

وكذلك الوجه في الإتيان بالفعل « جاء » في سياق عرض أحداث تحزب اليهود والكفار على رسول الله والمؤمنين .

٢٦٨- قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاءُوكُم مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾ (٦) .

وكما تساوق الإتيان بالفعل « جاء » مع سوق الكلام ومقامه في الشواهد السابقة ، فإنه يتعين- أيضاً - الإتيان بالفعل « أتى » في سياقات هو أشكل بها من الفعل « جاء » من ذلك :

---

(١) هود : ٦٩ .
(٢) هود : ٧٤ .
(٣) الحجر : ٦٧ ، ٦٨ .
(٤) العنكبوت : ٣١ .
(٥) الذاريات : ٢٦ .
(٦) الأحزاب : ٩ ، ١٠ .

[٧] قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ، وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا * وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُواْ يَا أُوْلِى الأَبْصَارِ ﴾ (١) .

« فأتاهم الله » أى أمره بالعذاب والتنكيل والإخراج من ديارهم ، هذا الإتيان لم يكن منتظرا ، ولا متوقعا عند الكافرين ، بل لم يمر بعقول المؤمنين أنهم سيخرجون من ديارهم .

هذه الحال بما فيها من هذا الظن الذى جرت الأمور على خلافه ، نزل فيها مجيء العذاب والتنكيل بهم بما فيه من صعوبة منزلة الإتيان السهل فلم يؤت بالفعل « جاء » وإنما أتى بالفعل « أتى » لمناسبته لتلك الحال . وتساوقا مع ما تضمنه الكلام من قوله : ﴿ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ﴾ وقوله: ﴿ وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ ﴾ وقوله : ﴿ مِّنَ اللهِ ﴾ يدل على شدة ارتكاسهم فى الجهل والكفر ، وتزداد دلالة السياق على سهولة هذا الإتيان وضوحاً بقوله تعالى : ﴿ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ﴾ أى من حيث لم يظنوا الإتيان من جهته .

وهكذا نجد الفعل « أتى » يؤتى به فى كل سياق يدل على أن من جيء إليه مجيئا صعباً لم يكن يشعر به لذا نلحظ أن تعقيب الآيات وتذييلها بقوله « من حيث لا يشعرون » لم يأت معه إلا الفعل « أتى » ماضيا كان ، أو مضارعاً ، وذلك فى الآيات الآتية :

٢٦٩- قال تعالى : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ (٢) .

٢٧٠ - وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ (٣) .

وبصيغة المضارع فى الآيات الآتية :

---

(١) الحشر : ٢ . (٢) النحل : ٢٦ . (٣) الزمر : ٢٥ .

٢٧١- قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١).

٢٧٢- وقال تعالى : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢).

٢٧٣- وقال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٣).

٢٧٤- وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٤).

فالإتيان فى هذه الشواهد صعب ، لكنه نزل منزلة ما هو سهل لكونه يقع دون انتظار أو توقع بقرينة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

وقد يكون المجيء الصعب المحقق واقعاً فى سياق « إن » التى تدل على الشك والاحتمال ، قصداً لبيان ما يترتب على الشرط دون نظر إلى كونه محقق الوقوع - فيؤتى بالفعل « أتى » دون الفعل « جاء » مراعاة لهذا السياق .

[٨٥] قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٥).

مجيء العذاب محقق الوقوع ، لكنه وضع باعتبار قيده « بغتة أو جهرة » فى سياق « إن » فصار باعتبار احتمالهما كأنه غير متعين الوقوع ؛ لذا ناسبه الفعل « أتى » والله أعلم .

[٨٤] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦).

الموضوع فى سياق « إن » هنا -خلافا للآية السابقة - إتيان العذاب وإتيان الساعة ، أى على فرض وقوع أحد الأمرين اللذين ينتظران كل عاص أخبرونا ماذا تفعلون ؟

---

(١) النحل : ٤٥ . (٢) الشعراء : ٢٠١ ، ٢٠٢ . (٣) الزمر : ٥٥ .
(٤) الزخرف : ٦٦ . (٥) الأنعام : ٤٧ (٦) الأنعام : ٤٠

فمجيء الساعة وإن كان محققا لم يؤت به فى هذا السياق لبيان تحققه ؛ لكن لبيان ما يترتب عليه ؛ وعلى عذاب الله ؛ على فرض وقوع أحدهما ، والتسوية بينهما فى الجواب [1] ، فالغرض الرئيسى هو بيان أنهم لن يتجهوا إلا إلى الله تعالى ، على فرض وقوع أحدهما ، لا الإخبار بمجيء الساعة ، وهذا هو الوجه فى الإتيان معهما بالفعل « أتى » مع أنهما متوقعان ؛ ومجيئهما صعب ؛ والله أعلم .

ولذلك لما كان الحديث عن وقوع الساعة على سبيل اليقين ، فى سياق الحديث عن الأمور الغيبية المجزوم بها – لأنه من الله جل وعلا – فإنه أتى معه بالفعل « جاء » فى الآية الآتية :

[٣٨] قال تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [2] .

فإنه لما كان الحديث عن الساعة تقريراً لتيقن مجيئها ناسبه الإتيان بالفعل « جاء » وفى سياق أداة الشرط « إذا » التى من شأنها أن تكون مع المجزوم به.

وبهذه الآية يتفطن إلى كلمة « بغتة » لا يتعين معها الإتيان بالفعل « أتى » كما هو الحال مع جملة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ إذ إن المجيء بغتة يمكن أن يكون لقوم يتوقعون وقوعه ؛ لكنهم لا يعرفون وقته ، أما جملة « من حيث لا يشعرون » فتكون مع من لا يوقن بوقوع الفعل .

وقد نبه الزمخشرى إلى ذلك عند تفسيره قول الله تعالى (الشاهد ٢٧٣) :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ [3] .

قائلا : « إن قلت: أما أدى قوله: « بغتة » مؤدى قوله : ﴿ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ فيستغنى عنه ؟ قلت : لا ، لأن معنى قوله : ﴿ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ : وهم غافلون ، لاشتغالهم بأمور دنياهم ؛كقوله تعالى : ﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون .. » [4] .

بهذا نكاد نكون وفينا القول فى وثاقة الإتيان بأحد الفعلين بالمقام والسياق .

---

(١) تنظر : أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط (إن وإذا ولو) ومواقعه فى القرآن الكريم ص ١٨٣ رسالة دكتوراة مخطوطة بمكتبة كلية اللغةالعربية بالقاهرة ، للمؤلف .

(٢) الأنعام : ٣١ (٣) الزخرف : ٦٦ (٤) الكشاف : ٤٩٥/٣ .

الفرق بين نفى المجىء ونفى الإتيان :

إذا كان قد تقرر بما سبق أن الفعلين : جاء وأتى يفترقان من حيث كون المجىء صعباً وعن دعوة وانتظار ، وكون الإتيان سهلا دون طلب وانتظار – فإن الإتيان بهما على جهة الإثبات يكون لإثبات معنى كل منهما بهذه الخصوصية التى تقررت .

وكذلك الإتيان بهما منفيين يكون على معنى نفى وقوع فعل له شأنه وخطره ، وكان متوقعاً ، عند نفى المجىء ، ونفى فعل فيه سهولة دون أن يكون محل انتظار أو توقع عند نفى الإتيان ، ذلك لأن طريق النفى طريق الإثبات ، ويتضح ذلك بالشواهد الآتية :

[١٢٠] قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ، فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

الإتيان فى أول الآية بالفعل « جاء » لأن السياق القرآنى العام دل على هذا المجىء وانتظاره ، وقد كان أهل الكتاب يعلمون ذلك من التوراة وكانوا يذكرونه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل مبعثه وينعتونه ، وينتظرون مقدمه ، ويستفتحون به على الذين كفروا ، لعلمهم بصدق إخبار الله لهم به ، ثم يأتى الفعل منفياً فى قوله : « ما جاءنا » قطعاً للطريق عليهم أن يقولوا : انتظرنا مجيئه وطلبناه فلم يأت إلينا . ولم يأت الفعل « أتى » ـ والله أعلم ـ لأن محاجتهم لا تكمل ولا تقوى إلا بنفيهم المجىء ، لا بنفى الإتيان ؛ لأنهم عند المحاجة سيعالنون أنهم انتظروه ولم يأت إليهم ، وهو ما يدل عليه قولهم : « ما جاءنا » أما لو قالوا : ما أتانا ، فإنه يكون لنفى تسهيل إتيان النبى إليهم ، دون أن يفيدوا أنهم كانوا يطلبونه ، وينتظرونه ، قال الزمخشرى : « فلا يعتلوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم » (٢) ، لكن يبقى أن يبين بأنهم انتظروه ورغبوا فيه ، ليكمل احتجاجهم ، وهو ما يدل عليه الفعل « جاء » .

ثم جاء الفعل للمرة الثالثة فى قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ إثباتاً لهذا المجىء ، وتأكيداً له ، وإعلاما بأن ما طلبوه وانتظروه قد جاءهم ، فليس لهم أن يتعللوا بأعذارهم الكاذبة . والله أعلم .

أما مجىء الفعل « أتى » منفياً ، فإنه يفيد غير ما يفيد ، « جاء » منفيا ؛ لأن المعنى سيكون على نفى تسهل المجىء ، دون الدلالة على معنى الترقب والانتظار ، وذلك فيما يأتى :

---

(١) المائدة : ١٩ (٢) الكشاف : ٦٠٢/١ .

[١٤] قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

[١٥] وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٢).

« ما أتاهم » ـ فى الآيتين ـ لتنفى تسهل مجيء نذير لمن كان قبلهم ، وإعلام من الله ـ أنه سهل لهم بك ما لم يسهله لغيرهم دون انتظار منهم لك ، فأولى بهم أن يؤمنوا ، ذلك ـ كما قلنا ـ لأن طريق النفى طريق الإثبات ، فعند إثبات « أتى » بكون المجيء سهلاً ، وعند النص يكون لنفى تسهل المجيء والله أعلم .

[١٥٩] وقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (٣).

الآية للإخبار ، بأنهم ما قابلوا تسهيل الله لهم مجيء الرسل إليهم إلا بالنكران والمخالفة ، وإتهام الرسل بالكذب .

وللسياق دلالته على حالهم من الكراهة والبغضاء للرسل وعدم الرغبة فيهم ، لذا ناسبه الفعل « أتى » .

ومما يؤكد وضوح الفرق بين نفى المجيء ، ونفى الإتيان هذه الآية:

[١٥٤] وقال تعالى : ﴿ قَالُواْ يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤).

الفعل هنا بلفظ « جاء » منفيا ، خلافا للآيات السابقة ، ذلك لأنهم عندما نفوا المجيء ببينة ، قصدوا الدلالة على أنهم كانوا يتوقعون مجيئه بشيء ذى بال ، انتظروه منه ، بعد أن وجه لهم نصائحه التى جاءت فى الآيات التى قبل هذه الآية ، من قوله لهم : أعبدوا الله ما لكم من آله غيره ، وإتهامه لهم بالافتراء ، وأنه لا يسألهم أجراً .. إلخ مع كل ذلك ادعوا أنه لم يجيء بما طلبوه وانتظروه ، وأعلنوا بقاءهم على عبادة آلهتهم ، ومكثوا فى ضلالهم ، والله أعلم .

* * *

(١) القصص : ٤٦ . (٢) السجدة : ٣ . (٣) الذاريات : ٥٢ . (٤) هود : ٥٣ .

المبحث الثالث

الدلالة على النفاذ بالإتيان دون المجيء

المبحث الثالث

الدلالة على النفاذ بالإتيان دون المجيء

يختلف الفعل « أتى » عن الفعل « جاء » بدلالته على نفاذ الآتى إلى المأتى إليه وإلمامه به ، يشهد لذلك ما ذكرناه عن أهل اللغة ، من دلالة المادة على البلوغ والنفاذ ، كمثل قولهم : رجل أتى : أى نافذ ، وتسميتهم ما ينتهى إليه جرى الخيل ميناء ومبداء .

وجاء فى اللسان « يقال : مضى فى الأمر مضاء نفذ ، وأمضى الأمر أنفذه ، وأمضيت الأمر أنفذته ، وفى الحديث : ليس لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت [1] ، أى أنفذت فيه عطاءك ، ولم تتوقف فيه ، ومضى السيف مضاء « قطع » [2] .

وذكر الرمانى فى معرض حديثه عن الترادف بين الكلمات الإتيان مع مصادر تتصل كلها بهذا المعنى و وهى : « الغشيان ، والزيارة والإلمام ، والطروق ، والإتيان » [3] .

ومما يؤكد وجود الفرق بين الفعلين اعتبار كل واحد منهما بما يقابله ، ذكر الزركشى أن « ـ أتى ـ يقابله الفعل « مضى » و « جاء » يقابله الفعل « ذهب » [4] .

وقد قابل القرآن الكريم فى الاستعمال بين « ذهب » و « جاء » .

[٢٦٥] قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [5] .

[٢٦٦] وقال تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ، فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ، أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [6] .

---

(١) هذا جزء من حديث حسن صحيح جاء فى سنن الترمذى (الجامع الصحيح) عند تفسير السورة رقم ١١٢ جـ ٥ ص ١١٧ .

(٢) لسان العرب : ٤٢٢٢ .

(٣) كتاب الألفاظ المترادفة : ٤١

(٤) البرهان : ٤ / ٨٠ .

(٥) هود : ٧٤ .

(٦) الأحزاب : ١٩ .

ولم يقابل القرآن الكريم الإتيان بالذهاب ، وإن كان قابله بالإذهاب ، مرادا به إهلاك الناس ـ فى الآيات الآتية :

٢٧٥- قال تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴾ (١) .

٢٧٦- وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٢) .

٢٧٧- وقال تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٣) .

ووجه مقابلة الإتيان بالإذهاب فى الآيات ـ والله أعلم ـ أن الإذهاب يدل على الإزالة والإهلاك ، والإزالة غاية المضى فى الذهاب فتم بذلك حسن المقابلة بين الإذهاب والإزالة وبين الإتيان بخلق جديد ، وإنفاذ وعد الله فيه .

وتأسيا على ما سبق نفقه أن الإتيان نفاذ حركة المجىء ، والمضى نفاذ حركة الذهاب ، كما أن مراعاة الفرق بين الفعلين : « أتى » و « جاء » يرجع إليها إحكام اختلاف مجيئهما فى القرآن الكريم ، خاصة عندما يتفقان فى إسنادهما إلى شىء واحد .

يجلى لنا ذلك الشواهد الآتية من قصة موسى عليه السلام :

[٩] قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

[١٠] وقال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (٥) .

[١١] وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ،

---

(١) النساء : ١٣٣ .
(٢) إبراهيم : ١٩ .
(٣) فاطر : ١٦ .
(٤) النمل : ٧ ، ٨ .
(٥) طه : ٩ - ١٢ .

قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

ذهب أبو حيان عند تفسيره هذا الشاهد الأخير إلى عدم المنافاة بين تنوع المنادى به فى الآيات ، وأرجعه إلى حكاية بعض ما جاء فى القصة فى سورة دون أخرى .

قال : « جاء فى طه ﴿ نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ وفى النمل ﴿ نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ ﴾ وهنا ـ القصص ـ ﴿ نُودِيَ مِن شَاطِئِ ﴾ ولا منافاة ؛ إذ حكى فى كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء » (٢).

لكنه لم يذكر هو ولا غيره وجه اختلاف استعمال الفعلين « جاء » و « أتى » فى المواضع الثلاث ، وأنهم يرون ترادف الفعلين على المعنى ، وأن الإتيان بأحدهما مرة ، وبالآخر أخرى ؛ لتنويع العبارة .

ونحن نذهب إلى أن الوجه فى مجيء الفعل « جاء » فى سورة النمل ـ والله أعلم بمراده ـ هو إفادة معناه : وهو الدلالة على عدم النفاذ إلى النار ، ومعرفة حقيقتها . يدل على ذلك سياق الكلام ؛ إذ إن موسى ـ عليه السلام ـ لما جاء ولم ينفذ إليها ، سمع عند ذاك مباركة الله تعالى ـ النار ومن حولها . فلم يزل للنار ذكر ؛ لأنه لم ينفذ إليها فيتعرف على حقيقتها ، ومازال هو ممن حولها .

أما الفعل « أتى » فى سورتى : طه والقصص ـ فللدلالة على نفاذه عليه السلام ـ إلى المكان الذى كان يظن به ناراً ، والسياق فيهما يختلف عنه فى سورة النمل ؛ فلم تذكر النار مع الفعل « أتى » لتحقق نفاذه ولوغه إلى المكان ، وقد اختلف النداء هنا مع « أتى » عن النداء هناك مع « جاء » . فقد نودى هنا بالحقيقة ﴿ .. نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ وغير خفى أن الأمر بخلع نعليه لا يكون إلا عند نفاذه ، وصيرورته بالوادى المقدس طوى .

وفى سورة القصص ﴿ نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ فقد صار عليه السلام ـ فى الوادى ، ونودى من شاطئه من الشجرة بأن ما رأيته ليس ناراً ، وإنما أنا الله رب العالمين .

(١) القصص : ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) البحر المحيط : ١١٧/٧ .

وتجلى هذه الحقيقة لموسى عليه السلام ـ لم يكن إلا بعد نفاذه وتمكنه من إدراكها . والله أعلم .

وسياق القصة بما فيه من تنوع النداء نفقه منه أن موسى ـ عليه السلام ـ نودى أكثر من مرة ، نودي عندما تحرك وجاء إلى النار دون أن ينفذ إليها ، وكان ممن حولها لقوله تعالى : ﴿ أن بورك من في النار ومن حولها ، وسبحان الله رب العالمين ﴾ مع كمال التنزيه لله رب العالمين أن يحيط به شيء أو وصف ، ومرة عندما بلغ إليها ، ونفذ في المكان المبارك الذى تجلى الله عليه وعم فيه نوره . فعندئذ لم يكن ثمة نار ، ونودى « إني أنا ربك » ـ « إني أنا الله رب العالمين » فليس الأمر كما ظننت قبل أن تبلغ المكان : أن فيه ناراً ، بل ما رأيت ثم غشاك هو نورى الذى تجلى على المكان الذى أنت فيه ﴿ فاخلع نعليك ، إنك بالواد المقدس طوى ﴾ .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .

ومن الشواهد الدالة على أن « جاء » لا يدل على النفاذ ، خلافا للفعل « أتى » ما يأتى :

[٢٥٦] قال تعالى : ﴿ وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴾ (١) .

الآية بمقامها وسياقها واضحة فى أن « جاء » لا يدل على النفاذ والوصول إلى الغاية من حركة الفعل ؛ بدليل قوله تعالى : « فدخلوا عليه » إذ رتب على « جاء » بالفاء ما يدل على النفاذ ، وهذا يفهم أن الفعل « جاء » بدل على مجرد الحركة والحضور دون النفاذ إلى الغاية المقصودة من المجيء ، ونهاية القصد ، وترتيب الأحداث بالفاء : فدخلوا ... فعرفهم ... جلى الدلالة على ذلك .

[٢٥٧] قال تعالى : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً ، حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين * قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى المتكبرين ﴾ (٢) .

مجازاة المجيء بقوله : « فتحت أبوابها » وقوله « وقال لهم خزنتها ... » .

---

(١) يوسف : ٥٨ .

(٢) الزمر : ٧١ ، ٧٢ .

والقول لهم : « ادخلوا أبواب جهنم .. » هذه كلها قرائن واضحة على أنهم لم ينفذوا بالمجيء إلى الغاية منه وهو دخول جهنم ، إذ لم يتحقق إلا بعد حصول كل ما ذكر . والله أعلم .

[٢٥١] وقال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١) .

« إذا جاءوها » ولم يدخلوها بعد بقرينة ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ... ﴾ فهم في موقف الاستقبال الكريم بفتح أبوابها استعداداً لمقدمهم ، وتلقى الملائكة لهم بالتحية ، ثم إعلامهم بما مَنَّ الله به عليهم ﴿ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ كل هذه شواهد واضحة على عدم النفاذ بالمجيء ، وهم يدخلون الجنة بعد الإذن لهم بالدخول ، ويقولون ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ، فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ اللهم برحمتك أكرمنا .

[٢٥٢] وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

من الواضح أن المجيء ليس فيه نفاذ ودخول جهنم ، لأن الشهادة مجازاة المجيء ومرتبة عليه ، والدخول والنفاذ فيها بعد الشهادة .

[٢٦٧] وقال تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٣) .

قوله تعالى ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾ يفيد أن مجيئه به لم ينفذ إلى نهاية المقصود منه ؛ إذ لا يتحقق ذلك إلا بتقريبه إليهم .

[٤٥] وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٤) .

---

(١) الزمر : ٧٣ ، ٧٤ .
(٢) فصلت : ٢٠ .
(٣) الذاريات : ٢٦ ، ٢٧ .
(٤) هود : ٥٨ .

[٤٦] وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (١) .

« جاء » فى الآيتين لا يدل على نفاذ ؛ لأنه لو دل على النفاذ لما كان لقوله : « نجينا » فائدة ؛ إذ لا معنى للنجاة بعد الوقوع ، والمعنى ـ والله أعلم ـ جاء حكمه بالعذاب ، فنجى الله أنبياءه وأتباعهم ، وأهلك الكافرين ، فنجاتهم قبل إنفاذ حكمة بالعذاب وبلوغه إليهم .

[٤٧] وقال تعالى : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (٢) .

« قد جاء أمر ربك » أى قضاؤه وحكمه بالعذاب والإهلاك ، فهو ـ أى العذاب ـ نازل بالقوم لا محالة ، لا يرده جدال ولا دعاء (٣) .

فالعذاب لم ينفذ فيهم عند مجيء أمره به ـ وقوله تعالى: ﴿ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ أى واقع بهم ، ونافذ ، لا يرده أحد ، فالإتيان مع النفاذ . « وقرأ عمرو بن هرم : « وإنهم أتاهم » بلفظ الماضى ، وعذاب فاعل به ، عبر بالماضى عن المضارع لتحقق وقوعه ، كقوله : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ ﴾ (٤) .

ويؤكد ما قلناه أننا نجد فى الشاهدين السابقين (هود ٥٨ – ٦٦) أن مجيء الأمر بالعذاب قد صاحبه الإخبار بنجاة الذين آمنوا بهود وصالح ؛ لكون مجيء العذاب لم ينفذ بعد . لكن لما كان المعنى فى الشاهد الذى نحن بصدده ـ والله أعلم ـ على الإخبار بمجيء والأمر بالعذاب ، ثم دفع ما قد ينتظر من النجاة ، وعدم بلوغ العذاب إليهم ـ اتبع المجيء بقوله : ﴿ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ لما فى الإتيان من نفاذ الأمر بالعذاب وبلوغه إليهم ، ووصفه بقوله « غير مردود » تأكيد لهذا النفاذ ، والله أعلم .

ومما يجتمع فيه مع السهولة النفاذ ، فيكون المناسب له الفعل « أتى » الأنباء والأحاديث ؛ إذ غايتها أن تسمع وتنفذ إلى المحدث بها .

---

(١) هود : ٦٦ .
(٢) هود : ٧٦ .
(٣) ينظر الكشاف : ٢٨٢/٢ .
(٤) البحر المحيط : ٢٤٥/٥ .

من ذلك :

[٨٧] قول الله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (١).

[٩٠] وقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ (٢).

[٩٢] وقوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (٣).

المعنى فى الآيات : هل بلغك ونفذ إلى علمك ما شأنه كيت وكيت ..

لكن قد يكون لمساق الكلام دلالة على أن الأنباء لم تنفذ إلى من جاءت إليهم ، مع ما فيها من شدة الإنذار والزجر ، وذلك مثل :

[٩٤] قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ، فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ (٤).

السياق هنا له دلالته على الصعوبة ، وعدم النفاذ ، أما الصعوبة فقوله : « ما فيه مزدجر » وأما عدم النفاذ فقوله : « فما تغنى النذر » فهذه الأنباء التى جاءتهم مع ما فيها من الزجر والتخويف وما يدفع إلى الاعتبار ـ لم تصل إلى عقولهم ؛ فاستبقوا أنفسهم على باطلهم وضلالهم ، حتى أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

وتختلف الآيات عن الأنباء من حيث إن غايتها المجىء إلى من تأتى إليهم ، ولا يتعين أن تبلغ فى نفوسهم مبلغ اليقين بها ، والنفاذ إليهم فيعملون بمقتضاها . إذ أكثر الخلق يمرون عليها وهم عنها معرضون ، لذلك كان المناسب لها الفعل « جاء » .

[٢٤٩] قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ، قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ ، وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥).

رتب المعاندون الإيمان بالآية على المجىء بها ، وهذا واضح الدلالة على أن المجىء بالآية لا يتعين معه النفاذ ، ووصول أثرها إلى من جاءت إليهم بمجرد المجىء .

والاستفهام فى قوله : « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » لنفى علم المؤمنين بأن هؤلاء المعاندين سيؤمنون بالآيات عند مجيئها ؛ لأن نفوسهم طبعت على النكران والشرك .

وبهذا السياق المتضمن نفى إيمانهم ، وقولهم : « لئن جاءتهم آية » مع أن الآيات

---

(١) طه : ٩.
(٢) البروج : ١٧ .
(٣) سورة ص : ٢١ .
(٤) القمر : ٤ ، ٥ .
(٥) الأنعام : ١٠٩ .

قد جاءتهم فعلا وبكثرة يعتبر بها أولو الأبصار ، ومجيء « إن » مع المجزوم به على سبيل تجاهلهم للآيات التى جاءتهم ، وإتيانهم بالفعل « جاء » بصيغة الماضى .. كل ذلك إمعان فى التضليل ، ومحاولة لتغطية كفرهم بإظهار رغبتهم فى مجيء الآية التى جاءتهم فعلاً ، والتى لم تنفذ إليهم .

ومما هو من هذا القبيل فى دلالته على أن المجيء لا يتعين معه أن يترتب عليه ما هو سبب له ، وهو الإيمان ، ونفاذ الآيات إلى القلوب التى طبع الله عليها هذه الآية :

٢٧٨ - قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ، اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ، سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (١) .

ظاهر الآية يدل على أن مجيء الآيات لا يقتضى بلوغها إلى النفس والإيمان بها ، بدليل موقفهم منها بقولهم : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رسل الله ﴾ .

لكن عندما يكون المقام للإخبار بوصول الآيات ونفاذها إلى نفوس بعض من أتت إليهم - فإنه يؤتى بالفعل « أتى » مراعاة للمراد فى هذا المقام .

[١٧٦] قال تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ ، أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ (٢) .

فالوجه فى مجيء الفعل « أتى » فى هذا المقام - والله أعلم - الدلالة على نفاذ الآيات إليه ، وعلمه بها ، بقرينة قوله :

« فنسيتها » إذ لا نسيان إلا بعد علم بها ، ونفاذ ووصول إليه ، والتناسب بين حشره أعمى بعد أن كان بصيراً وبين نسيانه الآيات بعد علمه بها ونفاذها إلى عقله - واضح بين .

ومما هو آكد فى بيان كون المجيء لا يقتضى النفاذ والوصول إلى من جيء إليه الشاهد الآتى :

[١٣٤] قال تعالى : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣) .

السياق واضح الدلالة على أن فيه فرقاً بين المجيء والإتيان من حيث النفاذ فى الإتيان

---

(١) الأنعام : ١٢٤ . (٢) طه : ١٢٦ . (٣) الأعراف : ١٠٥ ، ١٠٦ .

دون المجيء ، بدليل ترتب الإتيان على المجيء ، وتعليقه عليه ؛ لأن الشيء لا يعلق على نفسه .

أما الوجه فى صحة هذا التعليق ، فهو كون المجيء دون نفاذ ، والإتيان فيه نفاذ ووصول إلى الغاية التى كان من أجلها المجيء .

قال الزمخشرى : « فإن قلت : كيف قال له : « فأت بها » بعد قوله : « إن كنت جئت بآية » ؟ قلت : معناه : إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتنى بها ، وأحضرها عندى لتصح دعواك ويثبت صدقك » (١) .

وبهذا يتضح الفرق بين التعبير القرآنى ، وبين ما إذا قال قائل :

إن كنت أتيت بآية فأت بها ؟ لأنه الفرق بين الإعجاز والفساد؛ لأن (أتيت الأولى) دلت على النفاذ والبلوغ بها إليه ، فيكون الأمر بالإتيان بها بعد ذلك لغوا فاسداً .

وكذلك لو وضع مكانهما الفعل « جاء » لأن المعنى لن يتغير مع وجود الفعل « جاء » فى الجواب عن وجوده فى الشرط ، وسيبقى الفساد قائماً .

ومن هذا القبيل ـ أيضاً ـ :

[١٣٥] قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) .

٢٧٩ – وقوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ ، قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ، وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ (٣) .

أى : أبلغنا إليه الرسالة وأعلماه إياها ، والتعبير بقوله : « جئناك » يدل على أن الآية معهما ، ولم يظهراها له بعد ، بدليل سياق الآية والسياق العام للقصة .

[٢٣٨] قال تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ، وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ ، وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

الآية كما هو رأى الأكثرين « خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم ؛ وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة ، وقالوا : اللهم انصر أقرانا للضيف ،

---

(١) الكشاف : ١٠١/٢ .

(٢) الشعراء : ٣٠ ، ٣١ .

(٣) طه : ٤٧ .

(٤) الأنفال : ١٩ .

وأوصلنا للرحم ، وأفكنا للقانى ، إن كان محمد على حق فانصره ، وإن كنا على حق فانصرنا ... »[1] .

والنصر قد جاءهم حقيقة ، بدليل الآية ، لكنه لم يصل إليهم ، وإنما نفذ إلى أهل الإيمان واستقر فيهم ، فالمجىء للفريقين ، لكن إتيانه وبلوغه إلى أهل الإيمان : الرسول ـ ﷺ ـ وصحبه .

يؤكد ذلك أن التهكم بالكافرين فى الآية بطريق الإخبار بأمر حق ، قد وقع على خلاف ما يرغبون ، وليس من قبيل المزح والكذب ـ حاشا لله أن يكون كلامه كذلك ـ فالفتح الذى طلبوه وانتظروه جاء فعلا لكن نفاذه بما فيه من الخير كان إلى المؤمنين . وهذا الفرق الدقيق فى إدراك المعنى منشؤه اختلاف الفعلين « جاء » و « أتى » فى الدلالة .

ومما هو واضح الدلالة على الفرق بين الفعلين الشاهد الآتى :

[١٠٣] قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[2] .

« فلما جاء » المجىء إلى قوم لوط دون نفاذ إليهم ، لأنهم قابلوا لوطا عليه السلام وأتوه بخصوص قومه ، فلما أنكرهم ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ وكذلك الوجه فى قولهم : « بل جئناك بما كانوا فيه يمترون » دون آتيناك لأنهم جاءوا إليه بعذاب خاص بقومه دونه ، فهو نافذ إليهم ومصيبهم ، لذا لا يناسبه أن يقال « أتيناك بما كانوا فيه يمترون » لأن نفاذه ليس إليه هو ، ولكن إلى قومه ، فهو عليه السلام مقصود بالمجىء دون الإتيان ، لكن عندما أخبروه بما هو له ، ونافذ إليه من الحق ، قالوا : « وأتيناك بالحق » أى بلغنا بالحق المنتهى عندك ، إذ هو كإخوانه المرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ متلقى الحق ، والتصديق به . والله أعلم .

ولذلك نلحظ أنه عندما لا يكون للحق نفاذ إلى من يساق إليهم فإنه لا يؤتى بالفعل « أتى » وإنما يؤتى بالفعل « جاء » كما فى الآية الآتية :

[٧٨] قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾[3] .

لا يخفى أن السؤال فى الآية ليس عن المجىء ؛ لأنه قد جاءهم ويعلمون ذلك ،

---

(١) البحر المحيط : ٤٧٨/٤ . (٢) الحجر : ٦١ ـ ٦٤ . (٣) الأنبياء : ٥٥ .

لكنه يتعلق بقيده وهو « بالحق » فهم يسألون عن الأمر الذى جاء به ، ولم يبلغهم ، ولم ينفذ إليهم ، لذا يسألون عن كونه حقاً أو لا ؟ لأن المجيء بالشيء لا يتعين معه بلوغه والنفاذه إلى من جيء به إليه ، بدليل سؤالهم عنه ، خلافا للإتيان ، فإنه يدل على التسهل والنفاذ إلى الغاية ، ويكون معه معرفة المأتى به ، وهذا واضح فى قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد .

٢٨٠ – قال تعالى : ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (١) .

المجيء بالفعل « يأتى » مع السلطان يدعو إليه كون السلطان له من النفاذ إلى النفس ، والتمكن منها امتلاكها ، وعنده تقوم الحجة وتحسم الخصومة ، ويستوجب الوعد أو الوعيد كما فى الآية .

أما قوله « وجئتك .. » فإنه يدل على المجيء بالنبأ لكن لا يدل على نفاذه إلى سليمان ـ عليه السلام ـ وعلمه به ؛ ولذلك كشف له عنه ، وأنفذه إلى علمه بقوله : « إنى وجدت امرأة .... » .

ولذلك فالوجه ـ والله أعلم ـ أنه لا يسوغ الإتيان بالفعل « أتى » إلا بعد أن يكون قد وصله النبأ اليقين فعلا ، وعليه لو قلنا فى غير القرآن الكريم : إنى أتيتك بخبر يقين : إنى وجدت الأمر الفلانى كذا وكذا ـ كان ضربا من التعارض فى الدلالة ؛ لأن الإخبار بالإتيان لا يكون إلا بعد نفاذ العلم به ، ووصوله إليه .

ومما هو من هذا القبيل :

٢٨١ – قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ، أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ ، وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٢) .

---

(١) النمل : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) آل عمران : ٤٩ – ٥١ .

المجيء بالآية في الموضعين لم يبلغهم ولم يعرفوا حقيقته إلا بعد قوله في الموضع الأول : ﴿ أَنِّي أَخلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ .... ﴾ وقوله في الموضع الثاني : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ... ﴾ لأن حقيقة الآية في كل موضع ما ذكر بعدها [١] .

ومن مواضع المجيء بالفعل « أتى » للدلالة على النفاذ إسناده إلى السلطان والحجة .

[١٢] قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُواْ ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [٢] .

[١٣] قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٣] .

﴿ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴾ ـ في الآيتين ـ أي تمكن منهم ، وأزال شبهتهم ، لكن هذا السلطان لم يأتهم ولم ينفذ إليهم ، بل نفذ في قلوبهم الكبر ، وبلغ فيها مبلغه .

ومما يأتي معه الفعل « جاء » تارة ، والفعل « أتى » أخرى تبعاً لقرائن الأحوال والسياق ـ البأس والعذاب . من شواهد ذلك :

[٥٧] قول الله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ، قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [٤] .

قول الرجل المؤمن : « فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا » واضح في أن مجيء الناس دون نفاذ إليهم ، بقرينة « ينصرنا » لأن النصر في هذه الحال يكون بمنع وقوع البأس ونزوله بهم ، وإلا لم يكن فيه نصر ، وطريق الدلالة على ذلك الإتيان بالفعل « جاء » .

ولذلك لا يستقيم أن يقول قائل : من ينصرنا من بأس الله إن أتانا ؟ لأن الإتيان فيه بلوغ ، ونفاذ ، والمام بالمأتي إليه ، فلا معنى إذا للسؤال عن النصر .

[٥٥] وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [٥] .

الآية فيها توبيخ على ترك التضرع والالتجاء إلى الله تعالى ، عندما أدركوا أن البأس

---

(١) ينظر البحر المحيط : ٤٦٥/٢ وما بعدها . (٢) غافر : ٣٥ . (٣) غافر : ٥٦ .

(٤) غافر : ٢٩ . (٥) الأنعام : ٤٣ .

جاءهم ، ولما ينزل بهم ليقطع دابرهم . فقد كانوا فى حاجة إلى التضرع والرجوع إلى الله ، لكن حال بينهم وبين ذلك قسوة قلوبهم وكفرهم ، ولما كان التضرع قبل نفاذ العذاب ووقوعه كان المناسب عندئذ الإتيان بالفعل « جاء » .

[٨٥] وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) .

تختلف هذه الآية عن الآية السابقة ؛ لأن فيها طلب الإخبار عمن يقع عليه الإهلاك والتدمير ، وينفذ فيه أمر الله بإتيان العذاب له بغتة أو جهرة فالاستفهام عنهم بعد وقوع العذاب ونفاذه ، وطريق الدلالة على ذلك الفعل « أتى » والله أعلم .

[٨٦] وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٢) .

الاستفهام الإنكارى هنا لإبطال أن يذهب أحدهم إلى استعجالَ العذاب بعد أن أتاهم فعلا، وألم بهم ؛ إذ لا يكون عند ذاك حيلة ولا شفاعة .

ومما هو دقيق المسلك إلى إدراك قرائن الأحوال والسياق ، ومعرفة وجه الإتيان بالفعلين مسندين إلى فاعل واحد الآيات الآتية :

٢٨٢ – قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٣) .

٢٨٣ – وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٤) .

٢٨٤ – وقال تعالى : ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (٥) .

الفعلان « أتى » فى الشعراء و « جاء » فى « ق » أسندا إلى فاعل واحد باعتبار عموم الموصول ، واتحاد الصلة التى مدلولها الإيمان بالله تعالى ، وتصفية القلب له . وعليه فالإتيان بكل واحد منهما لوجه يطلب بمساعدة قرائن الأحوال والسياق فى الشواهد الثلاثة :

أما مجىء الفعل « أتى » فى آية الشعراء فإنه أضبث بمكانه من الفعل « جاء » لأن الحديث فى الآية عن نفاذ إتيان إلى الله تعالى يوم القيامة بعد حركة دءوب فى الدنيا ، ومجاهدة طويلة إلى أن كان إلى ربه المنتهى .

---

(١) الأنعام : ٤٧ . (٢) يونس : ٥٠ . (٣) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ .
(٤) الصافات : ٨٣ ، ٨٤ . (٥) سورة ق : ٣٢ ، ٣٣ .

أما سياق آية الصافات ، فهو للحديث عن حركة الفعل فى الدنيا حركة لا ينظر فيها إلى النفاذ ، لأن الآية تجمل حركته التى تحدثت عنها الآيات التى سبقتها ، من بيان جهاد إبراهيم عليه السلام قومه ، ودعوتهم إلى عبادة الله ، وتنبيههم إلى خطأ ما يعتقدون من عبادة الأصنام والنجوم ، وغيرها ، مبينا أدلة حدوثها من التبدل والتغير ، ثم ذهابه إلى الأصنام وتكسيرها .. ثم قوله بعد كيدهم لهم : « إنى ذاهب إلى ربى سيهدين » مريداً « بذهابه إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام ، كما قال : إنى مهاجر إلى ربى » [1] .

والإتيان بالذهاب ـ دون المضى ـ مع المجىء فيه من التناسب ما لا يخفى ؛ لما فيهما من الدلالة على الحركة دون النفاذ ، وإن كان المجىء إلى الله تعالى قد ضرب مثلا .

قال الزمخشرى : « فإن قلت : ما معنى المجىء بقلبه ربه ؟

قلت : معناه : أنه أخلص لله قلبه ، وعرف ذلك منه ، فضرب المجىء مثلا لذلك » [2] .

أما آية « سورة ق » فالفعل فيها يحكى حركة الحدث فى الدنيا ، والسعى فى مرضاة الله تعالى ، دون رؤية لنفاذ هذه الحركة إلى غايتها ؛ بدليل السياق ، وتضمنه كلمة « أواب » والأوب والرجوع من صفات المؤمنين فى الدنيا ، فهم يكثرون العودة والرجوع إلى الله تعالى ، والآية التى تدل على ختام حركتهم ، وإعلان فوزهم ، ونفاذهم إلى ثواب الطاعة ، ومجيئهم بقلب منيب ـ قوله تعالى : « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » سورة ق ٣٤ ـ والله جل وعلا أعلم بمراده .

٢٨٥ – وقال تعالى : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ، إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [3] .

« حيث أتى » أى حيث بلغ الغاية بسحره ، ونفذ بتأثيره فى النفوس ، حتى « أوجس فى نفسه خيفة موسى » ولحكمة يعلمها الله جل وعلا ـ يترك الساحر يفرغ ما فى جعبته كله ، ويصل بكفره ومكره منتهاه ، حتى إذا ظن ضعفاء النفوس أن له الغلبة ،وأنه ظفر بما طلب ، أحبط الله سحره ، وثبت قلوب أهل الإيمان ، واندحر مع شيطانه واستحق القتل حيثما كان .

ولمادة « أتى » صلة بمعنى الغرابة ؛ إذا الأتىُّ هو الغريب ، والساحر يأتى بما فيه غرابة ، وبلوغ فى نفوس من يرونه ، عند ذلكَ يقع به الخسران ، والاندحار هالكاً خاسراً .

* * *

(١) الكشاف : ٣٤٧/٣. (٢) الكشاف : ٣٤٤/٣ . (٣) طه : ٦٩ .

المبحث الرابع

المعانى التى لها مزيد اختصاص بأحد الفعلين

المبحث الرابع

المعانى التى لها مزيد اختصاص بأحد الفعلين

يرتبط بما حققناه فى المباحث السابقة : من سهولة الإتيان ، وكونه دون دعوة وانتظار ، ودلالته على النفاذ ـ خلافا للمجيء فى كل ذلك ـ اختصاص كل واحد من الفعلين بدلالته على بعض المعانى ، ووفائه بها دون الآخر ، من ذلك :

« جاء » ودلالته على الحركة .

إذا كان الفعل « جاء » يدل على الحركة والانتقال من مكان إلى آخر ، فإن هذه الدلالة تتنوع فى الكلام تبعاً لمساقه ـ ومقاماته المختلفة ، إذ قد يدل بمساعدتها على بدء حركة الفعل ، أو يدل ـ بمساعدتها أيضاً ـ على تنامى هذه الحركة ، وتتابع الانتقال فى الخارج ، أو يدل على نهاية الحركة والانتقال ، كما أنه قد يدل على مجرد الحركة دون ملاحظة شيء من ذلك .

يجلى لنا ذلك إنعام النظر فى الشواهد الآتية :

[٢١٧] قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ، لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (١) .

[٢١٨] وقال تعالى : ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ، لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً ﴾ (٢) .

الفعل « جاء » فى قوله : « جئتمونا » يدل على الانتقال ، إلا أن حركة الفعل ـ والله أعلم ـ تختلف فى الآيتين ؛ لأن حركة المجيء فى الآية الأولى حركة بدء ، وفى الآية الثانية حركة انتهاء .

ذلك لأن الآية الأولى عن مجيئهم عند الموت ، فحركة الجيء فى أولها ، ومساق الآية يدل على ذلك ، ففى الآية التى قبلها قوله تعالى : ﴿ .... وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِى

---

(١) الأنعام : ٩٤ .

(٢) الكهف : ٤٨ .

غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ وقوله تعالى فى الآية نفسها : ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ فهذه الأحوال أشد ارتباطا ببدء حركة الفعل ، والشروع فى الانتقال ، والموت انتقال .

أما الآية الثانية فالحركة فيها منتهية ، والحدث فى الفعل قد وصل إلى نهايته ؛ لأن سوق الكلام يدل على ذلك ، إذ جاء فى الآية قبلها ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ ـ وكذلك قوله فى الآية ﴿ وعرضوا على ربك صفًّا ﴾ والإنكار عليهم أن يزعموا على الله كذبا « بل زعمتم ألن نجعل لكم موعداً » وكذلك وضع الكتاب ، فى قوله : « ووضع الكتاب » كل ذلك له دلالته على أن حركة المجىء منظور إليها وهى فى نهايتها وعند وصولهم فعلاً إلى موضع الحساب .

ومما هو واضح الدلالة على ابتداء حركة المجىء ما يأتى :

[٣٧] قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ حركة المجىء للريح للموج فى أولها ، لأنها أعقبت الريح الطيبة . وقوله من ﴿ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ يدل على بداية هذا المجىء ، ما أن ظنهم الإحاطة بهم ، ودعاءهم الله أن ينجيهم يأتى بداية المجىء وليس بعد نهاية المجىء وانتهاء حركته .

[١٨] وقوله تعالى حكاية لما قاله يوسف لأبيه وإخوته : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِى .. ﴾ (٢) .

﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ واضح أن الحركة الملحوظة فى الفعل حركته وهو فى أوله ، بقرينة (من البدو) وينبغى أن نفرق بين ملاحظة الحركة فى بدئها وبين دلالة الفعل على تمام الانتقال وانتهاء حركته كلها ، إذ لا تعارض بين تمام الانتقال وبين

---

(١) يونس : ٢٢ .

(٢) يوسف : ١٠٠ .

كون الملاحظ من الحركة بدءها ، إذ لا مانع من قوة ظهور الحركة وهى فى بدئها دون ظهورها وهى فى نهايتها كما فى الآية :

ومما تكون فيه حركة المجيء ملحوظة عند تتابع الحدث ووقوعه الآية الآتية :

٢٨٦ – قال تعالى : ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ، قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ، أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ (١) .

المجيء هنا عند تتابع الحركة بدليل قوله : ﴿ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ فهذه الحال تبين حركتهم السريعة عند المجيء .

[٢٥٣] وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (٢) .

السوق يدل على أن حركة المجيء مازالت فى تتابعها واستمرارها وعطف الشهيد على السائق يدل على معيته لسائق كل نفس ، ولو كان المجيء مع معية الشهيد دون السائق بأن يقال مثلا فى غير القرآن الكريم : جاءت كل نفس معها شهيد ، لكانت حركة المجيء والانتقال منظوراً إليها وهى فى نهايتها ؛ لأن الشهادة لا تكون إلا عند انتهاء المجيء ، والله أعلم .

ومما هو واضح الدلالة على الفرق بين كون الحركة فى أولها ، وكونها فى وسطها وعند تتابعها بدلالة السياق والشاهدان الآتيان :

٢٨٧ – قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ، قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٣) .

٢٨٨ – وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٤) .

تختلف حركة المجيء والانتقال فى الآيتين تبعاً لمساق الكلام ؛ لأن المجيء فى الآية

---

(١) هود : ٧٨ .
(٢) سورة ق : ٢١ .
(٣) القصص : ٢٠ .
(٤) يس : ٢٠ .

الأولى (القصص) حركته فى وسطه بدلالة (يسعى) فالفعل هنا واقع فى الكلام لبيان حال رجل صفته أنه من أقصى المدينة ، فحركة الانتقال هنا ملحوظة فى تتابع وقوعها .

لكن النظم فى الآية الثانية (يس) يختلف عن الآية الأولى بتقديم « من أقصى المدينة » على الفاعل وبعد الفعل على جعله متعلقاً بالفعل وليس صفة لرجل ، من أجل ذلك لحظت حركة المجىء فى بدئها ، ثم جاء قوله « يسعى » صفة لـ (رجل) فدل أيضاً على حركة الانتقال وتتابعها ، فصار سياق الكلام بتضمنه (من أقصى) المدينة متعلقاً بالفعل وقوله : « يسعى » صفة لرجل ـ واضح الدلالة على حركة فعل المجىء بدءاً وتتابعاً .

ومن الشواهد التى يكون نظم الكلام فيها ومساقه دالين على نهاية حركة المجىء وانتهاء الانتقال ما يأتى :

[٢٥٦] قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ (١) .

الفعل « جاء » يدل على الحركة والانتقال ؛ ولو ترك دون ملاحظة سياق الكلام لصلح أن يلحظ فى هذا الانتقال بدؤه أو تتابعه ، أو انتهاؤه أو جميع ذلك ، لكنه فى سياق الآية يلحظ منه حركته فى نهايتها بدلالة عطف « دخلوا » عليه بالفاء ؛ لأنها بدلالتها على التعقيب تدل على تعقيب الدخول على المجىء بعد نهايته ، وليس الدخول عقب بدء حركة المجىء دون تمامها ، والله أعلم .

[٢٤٥] وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٢) .

مساق الكلام واضح فى أن حركة المجىء عند نهايتها ، ذلك لأن تغيية الحسبان بالمجىء الخالى من الفائدة والنفع لا تكون إلا عند نهاية المجىء والوصول فعلاً إلى مكان السراب وانتهاء الحركة عنده ، ذلك أننا لو قلنا فى غير القرآن الكريم : حتى إذا جاءه مسرعاً ليطفىء نار ظمئه ـ لكان المجىء هنا ملحوظاً فيه تتابع حركته لا انتهاؤها .

---

(١) يوسف : ٥٨ .

(٢) النور : ٣٩ .

[٢٥٠] وقال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ... ﴾ (١) الآية .

[٢٥١] وقال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٢) .

السوق فى الآيتين تتحقق به حركة المجىء واستمرارها ، والإتيان بالمجىء غاية له يقوله ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا ﴾ يدل على انتهاء حركة المجىء وأنهم وصلوا فعلا كل إلى مستقرة . ولا يمكن أن يلحظ فى الفعل « جاء » فى الآيتين بدء حركة الفعل أو استمرارها لمعارضة ذلك نظم الكلام ومساقه .

[٢٥٢] وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

فى الكلام حشر وسوق وقهر لهم ، فالمجىء إلى جهنم هو غاية ذلك ، وتنتهى حركته عندها ، الفعل « جاء » ملحوظ فيه نهاية الحركة وتمام الانتقال إليها بعد الحشر والسوق ، والله أعلم .

[٢٢٠] وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ (٤) .

« جاءنا » أى انتهى أمره إلينا ، بعد أن قيضنا له شيطانا ، وتمنيه أن يكون بينه وبين الشيطان بعد المشرقين دليل على أن حركة انتقاله قد انتهت ؛ لأن هذا التمنى لا يكون إلا عند الوقوف أمام الله ـ جل وعلا ـ .

[٢٤] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ، وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ ، حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ، فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٥) .

---

(١) الزمر : ٧١ .
(٢) الزمر : ٧٣ .
(٣) فصلت : ١٩ ، ٢٠ .
(٤) الزخرف : ٣٨ .
(٥) يوسف : ٧٣ .

﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ ﴾ المجيء هنا عند نهايته وتمام الانتقال ؛ بقرينة « حيوك » لأنها لا تكون إلا عند ذاك .

لأن التقييد بالظرفية المدلول عليها بـ (إذا) يجمع الشرط والجزاء معا .

ومما تظهر فيه حركة المجيء من البدء إلى الانتهاء هذه الآية :

[٧٤] وقال تعالى حكاية لما قاله إخوة يوسف : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ (١) .

فالوجه فى نفى المجيء للإفساد أنه ينفى الإفساد مع حركة مجيئهم بدءاً إلى انتهاء وصولهم إلى مصر ، فالغاية التى جاءوا من أجلها وقطعوا الطريق من أجلها هى جلب الميرة ، فإذا كانت هذه هى الغاية التى من أجلها تحملوا مشقة السفر ـ فإن حلفهم بأنهم ما جاءوا ليفسدوا فى الأرض نفى لإفسادهم منذ مجيئهم وخروجهم من بلادهم إلى أن وصلوا مصر ، لذلك لم يحلفوا على عدم إفسادهم فى بلاد العزيز ، بل فى الأرض ، أى كل ما هو من جنس الأرض ، ثم نفوا بعده أمراً هو محل نقاش وجدال مع جند العزيز فقالوا : ﴿ وما كنا سارقين ﴾ .

لعلنا نكون قد أوضحنا بهذه الشواهد التى ذكرناها ما للفعل « جاء » من خصائص فى الدلالة على الحركة والانتقال تبعاً لمقام الكلام وسياقه ما قد يخفى عند النظر السريع . لذا فإنه ليس من شك فى أن استجلاء هذه الخفايا وفقه الخصوصيات المختلفة فى دلالة الكلمة الواحدة فى مقامها وسياقها ليملأ النفس إجلالا لدقة نظم القرآن الكريم، وقوة إحكامه فى ألفاظه وتراكيبه ، حتى إنه ليتجلى لنا واضحا فى الكلمة عند تكرارها فى الآية الواحدة ، بل ـ أكثر من ذلك ـ فى الآيات المتجاورة ـ مثال ذلك :

[٢٣٢] وقال تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ، نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

الفعل « جاء » يختلف فى موضعيه فى الدلالة على الحركة والنقلة ، لأن حركته فى موضعه الأول حركة متتابعة مستمرة بين مسارب الطريق ومسالكه إلى موسى بقرينة

---

(١) يوسف : ٧٣ .

(٢) القصص : ٢٥ .

(تمشى) أما فى الموضع الآخر فإن الحركة فيه قد انتهت والنقلة قد وصلت إلى الغاية ، وهو شعيب عليه السلام ، وليس من شك فى أن تنوع الحركة فى الفعل فى موضعيه أعطاه جدة وطرافة وحسن موقع فى الكلام وفى النفس مع تكراره فى الآية الواحدة .

وكما وجد هذا التنوع فى حركة الفعل عند تكراره فى الآية الواحدة وجد أيضاً هذا التنوع عند تكرار الفعل فى الآيات المتجاورة والتى يكون تباعد موضعى الفعل فيها مغنيا عن تنويع الحركة ـ لكنه ـ أى تنوع الحركة ـ فى الآيات يبقى للفعل طرافته وجدته مع بعد ما بين موضعيه فى الآيات ، من ذلك :

[٣٠] قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ، قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ، أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ (١).

قوله ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾ حركة فعل المجيء هنا وصلت إلى الغاية ، وانتهت النقلة إلى لوط ـ عليه السلام ـ لكن حركة الفعل فى قوله : ﴿ وجاءه قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ حركة فيها تتابع بقرينة « يهرعون إليه » فقد اختلفت حركة الفعل « جاء » فى موضعه هذا عن حركته فى موضعه فى الآية السابقة ، مع أن نهاية النقلة والحركة واحدة وهو (لوط) عليه السلام .

ومن هذا التنويع فى حركة الأحداث فى القصة الواحدة ما يأتى :

[٢٦٨] قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ (٢).

﴿ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ أى وصلوا إليكم وتحزبوا واحتموا حول الخندق فى خمسة عشر ألفاً ، فالمجيء هنا تم ، والنقلة قد انتهت ، والعطف بالفاء فى قوله : « فأرسلنا » له دلالته على ذلك ؛ لأن الإرسال لم يتم إلا بعد تمام التحزب .

---

(١) هود : ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) الأحزاب : ٩ ، ١٠ .

أما قوله : ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ فيصور حركتهم نحو المدينة ، وانتقالهم إليها من جميع الجهات : من فوقهم : جهة نجد ، ومن أسفل : من جهة مكة وسائر تهامة . أو من أعلى الوادى ومن أسفله [1] .

فهذا التنوع فى دلالة الفعل على الحركة تبعاً للسياق فى موضعيه فى القصة الواحدة ، والحدث الواحد قد أعطى براعة لسبك الكلام ونظمه ، ومن ذلك ـ أيضاً ـ :

[٢٥٩] قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ [2] .

[٢٦٠] وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ [3] .

قوله : ﴿ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ المجىء فيه انتهت حركته والانتقال قد تم بالوصول إلى رسول الله ﷺ لأن العبوس لا يكون إلا عند ذاك ، لا عند بدء المجىء ولا عند تواصل حركته ، لأنه لا يراه عند ذلك .

أما قوله : ﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ﴾ ففيه عود إلى ذكر المجىء وبيان ما فيه من حركة وسعى لرغبة وحب لرسول الله ﷺ استحق به أن يعاتب فيه ربه نبيه ، أما من استغنى فلم يذكر له مجىء فى الآيات لأنه لا يعبأ به ، ولا يعتد بشأنه ، وإنما هو فى استغنائه وانصرافه بقلبه أشبه بالمنصرف بجسمه المرتد على عقبه ، لا بالآتى المقبل .

وبهذا ندرك أن خصوصية دلالة الفعل فى كلا موضعيه من الآيات جعلته فى حكم ما لم يكرر ، وأعطته جدة فى الذكر ، لما له من دلالة على انتهاء الحركة فى الموضع الأول ، ودلالة على استمرارها فى الموضع الثانى . والله أعلم .

وإذا كانت دلالة الفعل « جاء » على الحركة قد تنوعت تبعاً لمقامه وسياقه ـ فإنه قد يوتى به للدلالة على مجرد الحركة كناية عن فعل آخر ـ دون قصد إلى بلوغها غاية ما ، لما يختص به الفعل « جاء » من عدم دلالته على النفاذ ، التى تؤدى بالفعل « أتى » مثال ذلك :

٢٨٩ – قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ ، وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى

---

(١) ينظر البحر المحيط : ٢١٦/٧ .
(٢) عبس : ١ ، ٢ .
(٣) عبس : ٨ – ١٠ .

سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (١) .

٢٩٠ - وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ، وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ، مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

قوله تعالى فى الآيتين : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾ كناية عن قضاء الحاجة ، قال الطبرى : « إنما عنى بذكر مجيئه منه قضاء حاجته فيه » (٣) .

فحركة الفعل ليس منظوراً إلى بدئها ، أو تتابعها ، أو انتهائها ، إذ يكفى لتعليق الحكم مجرد مجيء من مكان قضاء لحاجة دلالة عليها ، وليست الطهارة معلقة على حركة الفعل بدءا أو نفاذاً إلى مكان مّا ؛ إذ وجوب الطهارة لمجرد قضائها المدلول عليه بالفعل « جاء » والله تعالى أعلى وأعلم .

أتي بمعنى « مرّ » :

يتصل بدلالة الفعل « أتى » دون الفعل « جاء » على الوصول والنفاذ اختصاصه بصحة استعماله بمعنى « مر » عند تعديته بحرف الجر « على » وشواهد ذلك :

٢٩١ - قول الله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ ، قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (٤) .

قوله : ﴿ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ ﴾ أى مروا بهم ، واستعمال « أتى » فى هذا المعنى بقرينة « على » والاستعلاء - وإن كان بمعنى مجازى - لا يكون إلا بالنفاذ والوصول إلى غاية المستعلى عليه .

---

(١) النساء : ٤٣ .
(٢) المائدة : ٦ .
(٣) جامع البيان : ١٣٦/٦ .
(٤) الأعراف : ١٣٨ .

٢٩٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ، أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ، بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ (١) .

قوله : ﴿ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ ﴾ أى مروا بها ، والمرور على الشيء فيه نفاذ حركة ، يناسبه « أتى » .

٢٩٣ - وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢) .

قوله : ﴿ أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ أى مروا عليه ، بقرينة « على » .

٢٩٤ - وقوله تعالى : ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ (٣) .

يصف الله - سبحانه وتعالى - الريح العقيم التى أرسلها إلى عاد بأنها لا تمر على شيء إلا جعلته كالرمم البالية لشدتها ، والذى يناسب الشدة والإهلاك المرور والنفاذ المدلول عليه بالفعل « أتى » متعلقاً به حرف الجر « على » .

٢٩٥ - وقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (٤) .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ ﴾ أى مر عليه زمن لم يكن فيه شيء يذكر ويكون له وجود كوجوده هذا .

« أتى » بمعنى « أهلك » .

يختص الفعل « أتى » - أيضاً - دون الفعل « جاء » باستعماله بمعنى « أهلك » لما فيهما من معنى النفاذ ؛ لأن إهلاكه ، من ذلك :

[٢٦٩] قول الله تعالى : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥) .

قوله : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ أى أهلك الله بنيانهم من القواعد ، أو أتى أمره بالإهلاك والتدمير (٦) .

---

(١) الفرقان : ٤٠ .
(٢) النمل : ١٨ .
(٣) الذاريات : ٤٢ .
(٤) الإنسان : ١ .
(٥) النحل : ٢٦ .
(٦) ينظر الكشاف :٤٠٧/٢ ، والبحر المحيط : ٤٨٥/٥

ومآل المعنى : أهلك الله بنيانهم من القواعد بمجيء أمره بالعذاب والتدمير .

[٧] وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ، وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ، وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُواْ يَا أُوْلِى الأَبْصَارِ ﴾ (١) .

قوله : « فأتاهم الله » أى أهلكهم وأنفذ أمره فيهم .

ومن شواهد الفعل المضارع :

٢٩٦ - قوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٢) .

قوله : ﴿ نَأْتِى الأَرْضَ ﴾ أى نهلكها ، وننقصها بهذا الإهلاك والتدمير ، وهى أرض الكفار ، فتنقص وتزيد أرض المؤمنين (٣) ، ونظير هذه الآية .

٢٩٧ - قوله تعالى : ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ، أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ، أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٤) .

« أتى وجاء » بمعنى « فعل » .

يأتى الفعلان « أتى وجاء » بمعنى فعل وتعاطى فى سياقات تدل على ذلك . لكننا نلحظ أن لكل فعل منهم مساقه الذى يأتى فيه .

فقد جاء التعبير القرآنى باستعمال الفعل « أتى » بمعنى « فعل » عندما يكون المأتى به مرغوبا فيه غير مستنكر ، أو يكون مستنكراً لكن له مخالطة بالفاعل وتلبس به ، ونفاذ أثره إليه .

ويؤتى بالفعل « جاء » عندما يكون الفعل مستنكراً غير مخالط لمن جاء به ، والشواهد الآتية تبين لنا ذلك .

٢٩٨ - قال تعالى : ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٥) .

---

(١) الحشر : ٢ .
(٢) الرعد : ٤١ .
(٣) ينظر البحر المحيط : ٥/٤٠٠ .
(٤) الأنبياء : ٤٤ .
(٥) آل عمران : ١٨٨

قوله : « بما أتوا » أى من الأفعال المقبولة المستحسنة ، يدل على ذلك مقام الكلام وسياقه ، لأنه فى معرض الحديث عمن يراءون بأفعالهم ، ويطلبون استحسان ما أتوا به ، فالوجه فى الإتيان بالفعل « أتى » كونه مستحسنا سهلاً نافذاً أثره إلى نفوس من أتوا به ، ومعترفاً بحسنه ، إلا أن الرياء يذهب به .

وقد ذكر الزمخشرى عند تفسير هذه الآية استعمال الفعلين بمعنى « فعل » لكنه لم يشر هـو ولا غيره إلى الفرق بينهما فى استعمالهما فيه ؛ قال : « بما أتوا ـ بما فعلوا ، و « أتى » و « جاء » يستعملان بمعنى « فعل » قال تعالى : « إنه كان وعده مأتيا ـ لقد جئت شيئاً فريا ـ ويدل عليه قراءة أبى : « يفرحون بما فعلوا .... » [1] .

٢٩٩ – وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [2] .

قوله : «ويأتون الصلاة » ـ بصيغة المضارع ـ أى يفعلون أركانها ويؤدون أفعالها ، وقد جاء (يأتون) لأنه فعل مستحسن ، وإن كان على سبيل النفى ـ ثم إن فيه ملابسة واتصالا بالآتى .

ومما فيـه الفعل مستنكر ، وله مخالطة بالفعـل وتلبس به ، ونفـاذ أثـره إليه الشاهد الآتى :

٣٠٠ – قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ، واللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ، بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ، فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِـنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَـنَاتٍ غَيْرَ مُسَـافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِـذَاتِ أَخْـدَانٍ ، فَإِذَا أُحْصِـنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَـذَابِ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ، وَأَن تَصْـبِرُوا خَـيْرٌ لَّكُمْ ، وَاللهُ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3] .

قوله : ﴿ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ ﴾ أى خالطتها ، لأن فعلها بالمخالطة والنفاذ ، ومعلوم أن أثر هذا الإتيان يرتبط بالآتى والمأتى إليه ، ويخالطهما وينفذ إليهما .

---

(١) الكشاف : ٤٨٧/١ . (٢) التوبة : ٥٤ . (٣) النساء : ٢٥ .

ومن شواهد إتيان الفاحشة والفعل مضارع :

٣٠١ - قول الله تعالى : ﴿ وَالاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ، فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا ، فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا ، إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ (١) .

قال الزمخشرى : « يأتين الفاحشة ـ يرهقنها . يقال : أتى الفاحشة وجاءها (٢) وغشيها ، ورهقها ، بمعنى ، وفى قراءة ابن مسعود « يأتين بالفاحشة » والفاحشة : الزنا ، لزيادتها فى القبح على كثير من القبائح (٣) .

ومما فيه الفعل مستنكر وليس له مخالطة بالفاعل ، فأتى فيه بالفعل « جاء » الشواهد الآتية :

[٨٠] قال تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ، قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا ﴾ (٤) .

[٨١] قال تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاَماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْرًا ﴾ (٥) .

الفعل « جاء » فى الآيتين بمعنى « فعل » ومعلوم أن أثر الفعل متصل بغير الفاعل ، فالخرق مشاهد فى السفينة ، والقتل مرئى واقعاً على الطفل ، لذا كان المناسب الفعل « جاء » دون « أتى » لعدم المخالطة والنفاذ إلى الآتى ، والله أعلم .

[٨] قال تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ، قَالُواْ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا ﴾ (٦) .

﴿ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا ﴾ أى فعلت أمراً عظيماً مفترى وهو إتيانها إليهم حاملة ولدها ،

---

(١) النساء : ١٥ ، ١٦ .

(٢) لم يأت فى الاستعمال القرآنى الفعل « جاء » مع الفاحشة والوجه فى ذلك ما ذكرناه ها هنا ، أما قوله تعايلى : « لقد جئت شيئاً فريا » مريم : ٢٧ فقد ذكرنا وجهه أيضاً (شاهد ٨ » فى مواضعه .

(٣) الكشاف : ٥١١/١ .

(٤) الكهف : ٧١ .

(٥) الكهف : ٧٤ .

(٦) مريم : ٢٧ .

فالنظر هنا ـ والله أعلم ـ واقع منهم إلى الغلام لا فعل الفاحشة التى فيها مخالطة ، يؤيد ذلك وصف الشيء بالفرية والكذب ، والكذب أشد ارتباطا بالإنجاب الذى هو ـ فى نظرهم ـ غير مشروع ومستنكر ؛ فلما كان لهذا الأمر ـ كما يدعون ـ من الشناعة والفظاعة مما يعد به صعبا ذا خطر ـ ناسبه الفعل « جاء » والله أعلم .

٣٠٢ – وقال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ﴾ (١) .

أى تعاطيتم أمراً منكراً يثقل فى حكم العقل قبوله .

٣٠٣ – وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ، فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً ﴾ (٢) .

أى تعاطوا أمراً صعباً منكراً .

٣٠٤ – وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ (٣) .

أى تعاطوا أمرا خطيراً ، وفعلاً ذميماً بمعصيتهم رسول ربهم ، وكفرهم بما جاءهم به .

وهكذا ، وجدنا فى هذه الشواهد تساوقا بين الفعل « جاء » وكل من قوله : « إمراً » و « نكراً » و « شيئاً فريّا » و « شيئاً إدّاً » و « ظلماً وزوراً » و « الخاطئة » وهو ما لا نجده لو جئنا بالفعل « أتى » فى غير القرآن الكريم ، والله أعلم .

* * *

(١) مريم : ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) الفرقان : ٤ .
(٣) الحاقة : ٩ .

المبحث الخامس

الإتيان بالمضارع ..
والأمر والمشتقات من « أتى »

المبحث الخامس

الإتيان بالمضارع .. والأمر والمشتقات من « أتى »

بتتبع شواهد القرآن الكريم وجدنا أن المضارع والأمر والمشتقات فيه لم تأت إلا من الفعل « أتى » .

وقد يعلل ذلك بما قالوه : من استواء الفعلين « جاء وأتى » ماضيين فى الخفة ، أما المضارع والأمر والمشتقات فإن « يأتى وأئت وآتٍ » أخف من « يجيء وجيء وجاء » [1] .

وهذا وإن كان صحيحاً إلا أن الاكتفاء به فيه إغفال للفروق بين الفعلين فى المعنى التى ذكرناها ـ قبل ـ وترك للوجوه التى فسرنا بها المجيء بأحد الفعلين بصيغة الماضى دون الآخر ، مع أنهما متساويان فى الخفة .

والتحقيق الذى دلنا عليه إنعام النظر إلى شواهد الصيغ الثلاث ـ أن الإتيان بها ليس لسهولة اللفظ فحسب ؛ وإنما لوجوه أخرى هى فيما يأتى :

مجيء المضارع من « أتى » .

يرجع ظاهر استعمال الفعل المضارع « يأتى » دون الفعل « يجيء » فى جميع شواهد القرآن الكريم ـ والله أعلم ـ إلى أن الفعل المضارع يدل بصيغته على تجدد الحدث وتأتيه شيئاً فشيئاً ، فيناسب هذه الدلالة أن يؤتى بالفعل « يأتى » لأن مادته ـ كما سبق ـ تدل على التسهل والتأتى ، فتلتقى دلالة المادة مع دلالة الصيغة .

وهذا هو الوجه الذى نفقهه فى الإتيان بالفعل « يأتى » مضارعا ، والفعل « جاء » ماضيا مع إسنادهما لفاعل واحد فى هذه الآية :

٣٠٥ – قال تعالى : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ، قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [2] .

فالفعلان فى قوله : « تأتينا » و « جئتنا » مسندان إلى فاعل واحد وهو موسى عليه السلام ـ ومدلولهما واحد ، وقد وقع فعلاً قبل حديث بنى إسرائيل لموسى . لكن عند

---

(١) ينظر البرهان للزركشى : ٨٠/٤ . (٢) الأعراف : ١٢٩ .

الإخبار عنه بالمضارع مراعاة لاستقبال الوقوع ومناسبة للسياق ـ عبر بالفعل « يأتى » وعند الإخبار عنه بالماضى مراعاة للوقوع عبر عنه بالفعل « جاء » وذلك للوجه الذى ذكرناه .

وهذا ـ أيضاً ـ هو الوجه الذى يرجع إليه الإتيان بالمضارع « يأتى » مع صعوبة الحدث ، ومع وجود دعوة إلى الإتيان ، خلافاً لما قررناه فى المبحثين : الأول والثانى ـ من تعين الإتيان بالفعل « جاء » ماضياً عند صعوبة الفعل ، وكونه عن دعوة .

فمن شواهد ذلك :

٣٠٦ ـ قول الله تعالى : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (١) .

الفعل « يأتى .. » فى الآيات يدل على إتيان فيه شدة وصعوبة ؛ لأنه مجيء سنوات شداد قاسية ، وعام يعصرهم ويهلكهم بجوعه ، فلما روعيت حالة التأتى ، وحركة الفعل واستمرارها ـ أتى به دون الفعل « يجيء » ونحن على ذكر من أنه لو كان بصيغة الماضى لأتى بالفعل « وجاء » دون « أتى » مراعاة للصعوبة والشدة فى المجيء .

٣٠٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ، قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

قوله : ﴿ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ الإتيان هنا عن دعوة ، والوجه فى الإتيان بالمضارع من « أتى » دون الإتيان به من « جاء » ـ والله أعلم ـ مراعاة دلالة الصيغة والمادة على السهولة التى يستدعيها مقام الآية وسياقها ، كما يترك الإتيان بالفعل « جاء » لهذا الغرض (٣) .

وقد يبرز مع معنى التأتى وتسهل حركة الفعل معنى من معانى الإتيان التى ذكرناها عن أهل اللغة ، كالنفاذ ، والكثرة ، إلى غير ذلك ما يدل عليه مقام الكلام وسياقه .

---

(١) يوسف : ٤٧ ـ ٤٩ .

(٢) البقرة : ٢٦٠ .

(٣) ينظر ما قلناه عند الحديث عن آية فصلت : ١١ .

فمن الشواهد التى يشير سياقها إلى معنى النفاذ ما يأتى :

٣٠٨ - قال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ (١) .

قوله : ﴿ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ يبلغوا إليه خاضعين راضين بحكمه لأنه لصالحهم . والسياق له دلالته بقوله : « إليه » فهو غاية الإتيان .

٣٠٩ - وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ، وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ، لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

قوله : « لم يأتوك » أى لم يبلغوا إليك كما يذعنون بإتيانهم عندما يكون لهم هدف ومصلحة فى ذلك .

قال الزمخشرى : « يعنى اليهود الذى لم يصلوا إلى مجلس رسول الله ﷺ وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء ، وتبالغ من العداوة .. » (٣) .

٣١٠ - وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ، وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (٤) .

يحكى الله « تعالى » إعلان إبليس - لعنه الله - أن ينفذ إلى بنى آدم لإغوائهم وإضلالهم ، وهو إتيان غريب ؛ لأنه مسلوك من جهات عدة ، إصراراً منه على النفاذ إليهم ليتحقق له ما يريد .

٣١١ - وقال تعالى : ﴿ لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٥) .

---

(١) النور : ٤٨ ، ٤٩ .
(٢) المائدة : ٤١ .
(٣) الكشاف : ٦١٣/١ وينظر البحر المحيط : ٤٨٧/٣
(٤) الأعراف : ١٧ .
(٥) فصلت : ٤٢ .

هنا فيه نفى لنفاذ الباطل إلى القرآن ، ودفع أن يصل إليه ما يغض من شأنه ، لأنه من الله الحكيم المنزه عما لا يليق .

٣١٢ - وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ، مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (١) .

قوله : ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ﴾ أى لم يبلغكم ويصيبكم وينفذ إليكم ما ذكرته الآية من البأساء والضراء وزلزلة القلق وتعجل النصر ، فإتيان المثل يتمثل فى وقوع ذلك وتحققه .

٣١٣ - وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٢) .

« فسيأتيهم » أى ستتسهل لهم وتبلغهم الأنباء وتستقر فيهم ليوقنوا أن ما كذبوا به هو الحق .

٣١٤ - وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) .

« ألم يأتكم » استفهام لإنكار نفيهم وصول الأنباء ، وتقرير لوصولها وبلوغها إليهم ، فكان ينبغى أن يتعظوا بها ، وينزجروا بما علموا من أنباء من قبلهم .

وقد يكون المعنى البارز مع التأتى والتسهل معنى الكثرة ، يدل على ذلك مساق الكلام وذلك كما فى الشواهد الآتية :

٣١٥ - قال تعالى : ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ، لَا تَأْتِيهِمْ ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤) .

قوله : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُم ﴾ أى إتيان كثرة ، يدل على ذلك مقام الآية لأنها تقص ما كان من إغراء لهم ، واختبار بهذه الحيتان وكثرتها ، وبيان غلبة الطمع عليهم ، ومعصيتهم أمر الله لهم .

---

(١) البقرة : ٢١٤ .
(٢) الشعراء : ٦ .
(٣) التغابن : ٥ .
(٤) الأعراف : ١٦٣ .

٣١٦ - وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١).

﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً ﴾ أى إتيانها بكثرة ، يدل على ذلك حال الأمن الذى هم فيه ، والطمأنينة التى تعمهم ، وكذلك بما فيه من قوله : ﴿ رَغَداً ﴾ و ﴿ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ يدل على هذه الكثرة .

٣١٧ - وقال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢).

قوله : ﴿ يَأْتُوكَ ﴾ و ﴿ يَأْتِينَ ﴾ فيهما معنى التسهل والكثرة ، وهى كثرة تملأ الفجاج والسهول ، إحاطة للأذان من كل فج عميق .

٣١٨ - وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ (٣).

الإتيان هنا بكثرة ، بدلالة المقام والسياق فى قوله : ﴿ بِكُلِّ سَحَّارٍ ﴾ وقوله : ﴿ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ .

٣١٩ - وقال تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤).

كثرة الإتيان واضحة بينة بدلالة المقام ، وسياق الكلام بما فيه من المجاز العقلى ، بإسناد الإتيان إلى السماء ، والآتى هو الدخان ، وإسناد الفعل إلى المكان يدل على شيوعه وشموله له ، وكثرته فيه كثرة ترى الناظر أن المكان يتحرك ، ولكثرته فهو يغشى الناس ، أى عمومهم دون أن يترك واحداً منهم .

٣٢٠ - وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ﴾ (٥).

أى تأتون بكثرة واضحة ، لما فى الفوج من كثرة ، تزداد بكثرة الأفواج وهكذا يبرز مع الفعل المضارع « يأتى » من معانى المادة ما يساعد عليه المقام والسياق (٦) .

---

(١) النحل : ١١٢ (٢) الحج : ٢٧ (٣) الشعراء : ٣٦ ، ٣٧ .
(٤) الدخان : ١٠ ، ١١ (٥) النبأ : ١٨ .
(٦) جميع شواهد المضارع فى القرآن الكريم ثمانية وسبعون ومائة شاهد ، منها شاهدان اقترنا بلام الأمر ، وقد استشهدنا بما نيف على الأربعين شاهدا مكتفين بها لسهولة قياس ما تركناه عليها .

مجيء الأمر من « أتى » :

قلنا : إن الوجه فى الإتيـان بالمضارع من « أتى » دون « جاء » فى القرآن الكريم هو مراعاة الوفاء بالدلالة على تجدد الحدث وتأتيه شيئاً فشيئاً بمادة الفعل وصيغته ، وهكذا الشأن فى الإتيان بالأمر من « أتى » لأنه لما كان مطلوباً به إتيان غير حاصل وقت الطلب ـ ناسب ذلك أن يؤتى به من « أتى » لأمرين :

الأول : أن فعل الأمر أكثر اتصالا بالفعل المضارع ؛ لكون المطلوب : به يقع أولا فى زمن المضارع الذى رتبته من حيث الزمن أسبق من الماضى [1] .

الأمر الآخـر : أن فعل الأمر لما كان يطلب به حـدوث فعل غير حاصل وقت الطلب ، والطلب يناسبه تمكن من يطلب منه ـ حقيقة أو على سبيل الادعاء ـ ناسب ذلك أن يكون الأمر بالإتيان من مادة « أتى » لدلالتها على السهولة المناسبة لتمكن المأمور به ـ دون الفعل « جيء » [2] .

قال البقاعى عند تفسير الآية الآتية :

٣٢١ – قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَآ عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [3] .

قال : « قال الحرالى : الآتى بالأمر يكون عن مكنة وقوة » [4] .

فالذى نذهب إليه فى فقه مجيء الأمر من « أتى » دون « جاء » هو مناسبة دلالة المادة على السهولة لتمكن الآتى بالأمر وسهولته عليه .

ومما هو واضح الدلالة على أن الإتيان بالشيء لا يكون إلا عن قدرة وتمكن منه نفى استطاعة الإتيان رداً لمن يتعنت فى طلبه ، شاهد ذلك :

٣٢٢ – قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ

---

(١) ينظر الخصائص : ٣١/٢ .

(٢) وهذا فرق ما بين الاستعمال القرآنى للكلمات مراعى فيها هذه الفروق الدقيقة ، وبلاغته المعجزة وبين استعمالها فى كلام البشر ، قال الفرزدق :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فقد أتى بالأمر من « جاء » دون أن نجد ما ذكرنا ، البيت فى ديوانه : ٤١٨/١ .

(٣) البقرة : ٢٣ . (٤) نظم الدرر فى تناسب الآى والسور : ١٦٢/١ .

بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ، قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ، إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

فقوله : ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ ﴾ نفي للقدرة على التبديل ، ومن باب أولى الإتيان بقرآن ، وهذا دليل على أن ما يطلب ينبغي أن يكون في الاستطاعة والإمكان .

ومن الأدلة على أن الإتيان بالشيء يكون عن مكنة منه تعليقه على الصدق ، وقد جاء ذلك في شواهد كثيرة في معرض تحدي الكافرين أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل آية منه ، وكذلك ما جاء على لسان الكافرين تحديا للرسل ، وطلباً لإثبات صدقهم فيما جاءوا به ، بأن يأتوا بما تعنت به الكافرون ، من ذلك (٢) .

٣٢٣ - قول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣) .

٣٢٤ - قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤) .

ومما جاء في عناد الكافرين :

[١٣٤] قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥) .

٣٢٥ - وقوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦) .

ولا يتعين أن يكون الإتيان في مكنة الآتي على سبيل الحقيقة ، بل قد يكون على سبيل الادعاء ، وفي معرض التحدي كما مر ، وقد اجتمع التمكن حقيقة والتمكن على سبيل التحدي في هذه الآية :

---

(١) يونس : ١٥ .

(٢) وبقية شواهد التعليق على الصدق في السور : البقرة : ٢٣ ، آل عمران :٩٣ ، الأعراف : ٦٠ ، هود : ٣٢ ، الشعراء : ٣١ ، ١٥٤ ، القصص : ٤٩ ، العنكبوت : ٢٩ ، الصافات ١٥٧ ، الدخان : ٣٦ ، الجاثية : ٢٥ ، الأحقاف : ٤ ، ٢٢ ، الطور : ٣٤ .

(٣) يونس : ٣٨ .

(٤) هود : ١٣ .

(٥) الأعراف : ١٠٦ .

(٦) الأعراف : ٧٧ .

٣٢٦ - قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ ، وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

قوله : « ﴿ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ﴾ الإتيان هنا فى قدرة الله تعالى . وقوله : « فأت بها من المغرب » الإتيان هنا يستحيل فى جانب المعاند ، وإنما طلب منه على سبيل التحدى لأنه ادعى أمراً ليس فى إمكانه وهو إحياء الموتى مغالطة منه ، وتحويلها ، فألجمه إبراهيم عليه السلام وألزمه الحجة .

وتكون المسكنة من الإتيان بالأمر مردها إلى الله جل وعلا .

٣٢٧ - قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ الإتيان المطلوب هنا ليس فى إمكان الرسل إلا بأمر الله تعالى ؛ بدليل حوابهم على ذلك يقولهم فى الآية التى بعد ذلك :

٣٢٨ - قال تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

نفوا - عليهم الصلاة والسلام - قدرتهم على الإتيان بسلطان من عند أنفسهم إلا أنه فى قدرة الله وبإذنه جائز . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومما يدل - أيضاً - على أن الإتيان يكون عن مكنة الآتى وقدرته عليه - مجىء الأمر به فى مقامات التشريع الإلهى ، وبيان الأحكام ، أو فى سياق حكاية الأمر به ، والتكليف بين بنى الإنسان ، ومعلوم أن التكليف لا يكون إلا بما يستطاع ، من شواهد ذلك :

٣٢٩ - قوله تعالى : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ، قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ، وَلَيْسَ

(١) البقرة : ٢٥٨ . (٢) إبراهيم : ١٠ . (٣) إبراهيم : ١١ .

الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ، وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

قوله : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ تشريع وبيان لما يجب أن يكون ودعوة إلى التقوى.

٣٣٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ، قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ، وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢).

﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ تشريع وبيان لجهة الإتيان ، وعدم ترك ما أمر الله .

٣٣١ - وقوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣).

الأمر بالإتيان تكليف بالرسالة وتحمل أعبائها ، وقد هيئ المرسلون لذلك .

٣٣٢ - وقوله تعالى حكاية لما يأمر به فرعون حاشيته : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (٤).

٣٣٣ - وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (٥).

٣٣٤ - وقوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ،وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾ (٦).

٣٣٥ - وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (٧).

وهكذا جميع شواهد الأمر بالإتيان ، فيها دلالة على القدرة عليه ، قدرة أودعها الله تعالى فى المأمور ، كما فى الشواهد التى مرت ، أو قدرة راجعة فى حقيقة الأمر إلى الله جل وعلا كما فى هذه الآيات :

---

(١) البقرة : ١٨٩ . (٢) البقرة : ٢٢٢ . (٣) الشعراء : ١٦ .
(٤) يونس : ٧٩. (٥) يوسف : ٥٤ . (٦) طه : ٦٤ .
(٧) الأنبياء : ٦١ .

٣٣٦ – قال تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ، فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .

فَإتيان لوط قومه بالعذاب لا يملكه هو ، وإنما هو بيد الله تعالى وقدرته .

[٢] وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (٢) .

﴿ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ إتيانهما ليس بقدرة لهما عليه وإنما هو بقدرة الله تعالى .

ويتجلى تمام القدرة على الإتيان ، لأنه من الله تعالى فى هذا الشاهد :

٣٣٧ – قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

قوله : ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ حكاية لدعائهم ، الإتيان مسند إلى صاحب القوى جل وعلا .

وقد يكون ما قررناه قد ازداد وضوحاً بالشواهد التى ذكرناها لصيغة الأمر « ائت » (٤) والله أعلم .

مجيء المشتقات من « أتي » :

يتفق وجه الإتيان بالمشتقات من الفعل « أتى » دون الفعل « جاء » مع وجه الإتيان بالمضارع منه ؛ لأن المشتقات – كاسمى الفاعل والمفعول – تصلح للدلالة على الأزمنة الثلاثة ، ولا تتعين دلالتها على زمن معين إلا بقرينة .

وبهذا تتفق دلالة صيغة « آت » على التأتى والسهولة والمواتاة وحسن المطاوعة مع دلالة مادتها .

وقد جاءت شواهد المشتقات فى القرآن الكريم بصيغة اسم الفاعل « آت » ما عدا شاهداً واحداً ، جاء بصيغة اسم المفعول ، وإن كان بمعنى اسم الفاعل .

---

(١) العنكبوت : ٢٩ .
(٢) فصلت : ١١ .
(٣) الأنفال : ٣٢ .
(٤) جميع شواهد الأمر فى القرآن الكريم سبعة وثلاثون شاهداً استشهدنا بها جميعاً فيما سبق .

وترتبط جميع الشواهد بوعد الله تعالى بالموت وإتيان الساعة وحشر الناس وحسابهم وما يتصل بذلك مما هو إتيان واقع فى المستقبل يناسبه التأتى والسهولة المناسبة لقدرة الله جل وعلا ، فشواهد الساعة ما يأتى :

٣٣٨ - قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ ، فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (١).

٣٣٩ - وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ (٢).

٣٤٠ - وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِى الْقُبُورِ ﴾ (٣).

٣٤١ - وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤).

فقد جاءت صيغة اسم الفاعل من « أتى » مع إسنادها إل الساعة ويؤكد صحة الوجه الذى ذكرناه من دلالة الصيغة على السهولة المناسبة للمادة ، فكانت أولى من صيغة « جاء » ـ أننا لاحظنا أن ما أسند إلى الساعة عند الإخبار عن المجىء فى الزمن الماضى هو الفعل « جاء » (٥).

ومن مجىء الوعد المؤجل عند الله تعالى من البعث والإتيان بالناس يوم القيامة :

٣٤٢ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ ، وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٦).

٣٤٣ - وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٧).

أى « إن أجل الله الذى أجله لمبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريباً » (٨).

٣٤٤ - وقوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾ (٩).

---

(١) الحجر : ٨٥ .
(٢) طه : ١٥ .
(٣) الحج : ٧.
(٤) غافر : ٥٩ .
(٥) ينظر المبحث الأول ص ١٧ .
(٦) الأنعام : ١٣٤.
(٧) العنكبوت : ٥.
(٨) جامع البيان : ١٣٠/٢٠
(٩) مريم : ٩٣ - ٩٥.

« آتى » فى الآيتين إتيان فى المستقبل يوم القيامة وبعث للناس ، وهو إتيان سهل لا صعوبة فيه ، لأن الله الذى لا يعجزه شىء هو الذى قدرهم وبعثهم .

ومن شواهد إتيان العذاب ، بإسناد اسم الفاعل « آت » إليه .

[٤٧] قوله تعالى : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (١) .

ومن شواهد اسم الفاعل دالا على الحدث فى الحال :

٣٤٥ - قوله تعالى : ﴿ وَأَن لاَّ تَعْلُواْ عَلَى اللهِ ، إِنِّى آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

يخبر موسى فرعون ومن معه بأنه يعرض عليه الآيات والبراهين التى تدل على صدق رسالته ، فينبغى عليهم أن يستجيبوا له ، فاسم الفاعل « آت » يدل على الحال بدلالة المقام .

أما شاهد اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل فهو (٣) :

٣٤٦ - قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ، إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ (٤) .

قوله : « مأتيا » اسم مفعول ، وهو بمعنى اسم الفاعل « آتيا » جاء فى اللسان : « إنه كان وعده مأتيا ـ أى آتيا ؛ لأن ما أتيته فقد أتاك ، وقال الجوهرى : وقد يكون مفعولا ؛ لأن ما أتاك من أمر الله فقد أتيته أنت » (٥) .

وهو إتيان فيه سهولة ونفاذ ، أى سيبلغكم ويتأتى لكم ما وعدتموه ، والله جل وعلا أعلى وأعلم .

* * *

---

(١) هود : ٧٦ .

(٢) الدخان : ١٩ .

(٣) جميع شواهد المشتقات فى القرآن الكريم أحد عشر شاهداً وهى التى ذكرناها ، عشر شواهد بصيغة اسم الفاعل ، وشاهد بصيغة اسم المفعول .

(٤) مريم : ٦١ .

(٥) لسان العرب : ص ٢٢ .

خاتمـــــة

« وبعد » فقد تم بحمد الله تعالى ـ ما رمناه من هذه الدراسة ، على قدر الوسع والطاقة ، وقد كان من المرغوب فيه أن نقدم خلاصة عقل كل مبحث ، تتضمن حصرا لشـواهده ، وبيانا لما ذكرناه من وجوه فى استعمالها ـ إلا أن تداخل الشواهد فى المباحث ، وذكر كثير منها فيها ـ حال دون التحديد لشواهد كل مبحث ، فضلاً عن أن الوجـوه التى ذكرناها لاستعمال الفعلين كانت حسب وجودها فى الشـواهد فى المباحث كلها .

ومجموع شواهد الدراسة حسب الترقيم لها ٣٤٦ (ستة وأربعون وثلاثمائة) شاهد ضمت ٣٦٢ (اثنين وستين وثلاثمائة آية) وقد جاء الفعلان مكررين فى بعض الآيات .

وقد استوقفت الدراسة بالتناول جميع شواهد الفعل « جاء » وعددها ٢٧٨ (ثمانية وسبعون ومائتا) شاهد .

كما تناولت جميع شواهد الفعل « أتى » ومجموعها ٤٨ (ثمانية وأربعون) شاهداً .

وكذلك استوفت الاستشهاد لصيغة الأمر « ائت » وعدد شواهدها ٣٧ (سبعة وثلاثون) شاهداً .

وكذلك المشتقات وعددها ١١ (أحد عشر) شاهداً .

أما صيغة المضارع « يأتى » فإن شواهدها فى القرآن الكريم ١٧٨ استشهدنا منها بما نيف على ٤٠ (الأربعين) شاهدا ، واكتفينا بذلك لاتفاقها جميعاً فى الوجوه التى ذكرناها لها ، ولسهولة المقايسة بين ما ترك وما ذكر .

وقد شاء الله تعالى ـ دون تحين منى ـ أن يكون تمام هذا العمل وآخر كلمة كتبت فيه أول ليلة من شهر رمضان المبارك ١٤١٧هـ (العام السابع عشر بعد الأربعمائة والألف) من الهجرة ، بمدينة (سكاكا) بالجوف ، بالمملكة العربية السعودية .

ثم نأمل أن نكون قد حققنا بهذه الدراسة رغبة للمهتمين بالدراسات البلاغية ، راجيا أن يفتح الله لنا مـزيداً من المعرفة لنحقق ما تصبو إليه النفس من متابعة السير فى هذا الطريق .

والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فهرس الشـــواهد

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
	سـورة البقرة	
٢٣	٣٢١	١٣٤
٢٥	٢٢٤	٧١
٧١	١٥٣	٥٠
٨٧	١٠٨	٤٣ ، ٤٤
٨٩	١٧٩	٥٩
٩٢	١٣٣	٤٨
١٠١	١٢١	٤٦
١٢٠	٢٠	٦٤
١٤٥	١٥٧	٥٣
١٨٩	٣٢٩	١٣٦، ١٣٧
٢٠٩	١٦١	٥٥
٢١١	١٦٠	٥٤
٢١٣	١٦٩	٥٦
٢١٤	٣١٢	١٣٢
٢٢٢	٣٣٠	١٣٧
٢٥٣	١٧٠	٥٦ ، ٥٧
٢٥٨	٣٢٦	١٣٦
٢٦٠	٣٠٧	١٣٠
٢٧٥	١٨٨	٦٠
	سـورة آل عمران	
١٩	٢١٠	٦٤
٤٩ ٥٠	٢٨١	١٠٧

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
٦١	٢١١	٦٤
٨١	١٢٢	٤٦
٨٦	١٧٥	٥٧
١٠٥	١٧٤	٥٧
١٨٣	١٢٤	٤٧
١٨٤	١٢٤	٤٧
١٨٨	٢٩٨	١٢٣
	سـورة النسـاء	
١٥ ١٦	٣٠١	١٢٥
٢٥	٣٠٠	١٢٤
٤١	٢٢	٢٤
٤٣	٢٨٩	١٢٠، ١٢١
٦٢	٢٢١	٦٧
٦٤	٢٢٢	٦٧
٨٣	٥٣	٣١
٩٠	٢٣	٢٤
١٣٣	٢٧٥	٩٨
١٥٣	١٧١	٥٧
١٧٠	١٤٥	٥٠
١٧٤	١٨٩	٦٠

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
	سورة المائدة	
٦	٢٩٠	١٢١
١٥	١١٩	٤٥
١٩	١٢٠	٤٦
٣٢	١٢٥	٤٧
٤١	٣٠٩	١٣١
٤٢	٢٤٢	٨٤
٤٨	١٩٣	٦١
٦١	٢٥	٢٥
٧٠	١٠٩	٤٤
٨٤	١٩٤	٦٢
١١٠	١٤٠	٤٩
	سورة الأنعام	
٥	١٩٥	٦٢
٢٥	٢٦	٢٥
٣١	٣٨	٢٩
٣٤	٩٣	٣٨
٤٠	٨٤	٣٦
٤٣	٥٥	٣١
٤٧	٨٥	٣٧
٥٤	٢٤٣	٨٤
٦١	٦٣	٣٢
٩١	١٤٤	٤٩
٩٤	٢١٧	٦٦
١٠٤	١٦٥	٥٦
١٠٩	٢٤٩	٨٦
١٢٤	٢٧٨	١٠٤
١٣٤	٣٤٢	١٣٩
١٥٧	١٦٢	٥٥
١٦٠	٢٣٥	٨١
	سورة الأعراف	
٤	٥٦	٣١
٥		
١٧	٣١٠	١٣١
٣٤	٦٦	٣٣
٣٧	١٠٢	٤٢
٤٣	١٤٦	٥٠
٥٢	٩٩	٤١
٥٣	١٤٧	٥٠
٦٣	١٨٠	٥٩
٦٩	١٨١	٥٩
٧٠	٧٥	٣٤
٧٣	١٦٣	٥٥
٧٧	٣٢٥	١٣٥
٨٥	١٦٤	٥٥
١٠١	١٢٦	٤٧
١٠٥	١٣٤	٤٨
١٠٦		
١١١	٢٢٥	٧٧

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
١١٢	٢٢٥	٧٧
١١٣	٢٢٥	٧٧
١١٦	٣٥	٢٨
١٢٦	١٦٧	٥٦
١٢٩	٣١٥	١٣٢
١٣١	٢٣٤	٨١
١٣٨	٢٩١	١٢١
١٤٣	٢٢٩	٧٨
١٦٣	٢١٥	١٣٢
	سورة الأنفال	
١٩	٢٣٨	٨١
٣٢	٣٣٧	١٣٨
	سورة التوبة	
٤٨	٢٠٧	٦٣
٥٤	٢٩٩	١٢٤
٧٠	١٥٥	٥١
٩٠	٢٩	٢٦
٩١	١	١٧
٩٢		
١٢٨	١٢٣	٤٦
	سورة يونس	
١٣	١٢٧	٤٧
١٥	٣٢٢	١٣٤، ١٣٥

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
٢٢	٣٧	٢٩
٢٤	٨٣	٣٦
٣٨	٣٢٣	١٣٥
٤٧	٢٤٦	٨٥
٤٩	٦٧	٣٣
٥٠	٨٦	٣٧
٥٧	١٩١	٦١
٧٤	١٢٨	٤٧
٧٦	٢٠٦	٦٣
٧٧		
٧٨	٧٦	٣٤
٧٩	٣٣٠	١٣٧
٨٠	٢٢٦	٧٧
٨١	٣٦	٢٩
٩٣	٢١٢	٦٥
٩٤	١٩٦	٦٢
٩٧	١٥٨	٥٣
١٠٨	١٩٧	٦٢
	سورة هود	
١٢	٣٣	٢٨
١٣	٢٤	١٣٥
٤٠	٤٣	٣٠
٥٣	١٥٤	٥١
٥٨	٤٥	٣٠
٦٦	٤٦	٣٠

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
٦٩	٢٦٤	٨٩
٧٤	٢٦٥	٨٩
٧٦	٤٧	٣٠
٧٧	٣٠	٢٧
٧٨	٢٨٦	١١٥
٨٢	٤٨	٣٠
٩٤	٤٩	٣٠
١٠١	٥٠	٣٠
١٢٠	١٩٢	٦١
	سورة يوسف	
١٦	٢٥٤	٨٧
١٨	٧٣	٣٤
١٩	٢٥٥	٨٧
٤٨	٣٠٦	١٣٠
٤٩		
٥٠	٢٣١	٧٩
٥٤	٣٣٣	١٣٧
٥٨	٢٥٦	٨٧
٧٢	٣٢	٢٧
٧٣	٧٤	٣٤
٨٨	٢٥٧	٨٨
٩٦	٢٥٨	٨٨
١٠٠	١٨	٢٣

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
	سورة الرعد	
٣٧	٢١٣	٦٥
	سورة إبراهيم	
٩	١٥٦	٥٢
١٠	٣٢٧	١٣٦
١١	٣٢٨	١٣٦
١٩	٢٧٦	٩٨
	سورة الحجر	
٦١		
٦٣	١٠٣	٤٢
٦٤		
٦٧	٢٦٦	٨٩
٨٥	٣٣٨	١٣٩
	سورة النحل	
١	٧	١٩
٢٦	٢٦٩	٩٠
٤٥	٢٧١	٩١
٦١	٦٨	٣٣
٨٩	١٠٠	٤١
١١٢	٣١٦	١٣٣
١١٣	١١٠	٤٤

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
	سورة الإسراء	
٥	٦٠	٣٢
٧	٦١	٣٢
٨١	٢٠٨	٦٣
٩٤	١٨٤	٦٠
١٠١	١١١	٤٤
١٠٤	٣٩	٢٩
	سورة الكهف	
٤٨	٢١٨	٦٦
٥٥	١٨٥	٦٠
٧١	٨٠	٣٥
٧٤	٨١	٣٥
٧٧	٨٠	٣٥
٩٨	٦٢	٣٢
١٠٩	٢٠	٢٤
	سورة مريم	
٢٣	٢٢٣	٦٧
٢٧	٨	١٩
٤٣	٢١٤	٦٥
٦١	٣٤٦	١٤٠
٨٩	٣٠٢	١٢٦
٩٣ و ٩٥	٣٤٤	١٣٩
	سورة طه	
٩	٨٧	٣٧
١١	١٠	٢٠
١٥	٣٣٩	١٣٩
٤٠	٢٣٠	٧٨
٥٧	٧٧	٣٥
٦٠	٢٢٨	٧٧
٦٤	٣٣٤	١٣٧
٦٩	٢٨٥	١١٠
٧٢	١٦٨	٥٦
١٢٦	١٧٦	٥٨
	سورة الأنبياء	
٤٤	٣٠٧	
٤٧	٤	١٨
٥٥	٧	٣٥
٦١	٣٣٥	١٣٧
	سورة الحج	
٧	٣٤٠	١٣٩
٢٧	٣١٧	١٣٣
	سورة المؤمنون	
٢٧	٤٤	٣٠
٤٤	٢٤٧	٨٦
٦٨	١٧٨	٥٨

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
٧٠	٩٧	٣٩
٧١	٥	١٨
٩٠	٩٥	٣٩
٩٩	٦٥	٣٣
	سورة النور	
١١	٧٢	٣٣ ، ٣٤
١٣	٣١	٢٧
٣٩	٢٤٥	٨٥
٤٩	٣٠٨	١٣١
	سورة الفرقان	
٤	٣٠٣	١٢٦
٢٩	١٨٢	٥٩
٣٣	١٠١	٤١
٤٠	٢٩٢	١٢٢
	سورة الشعراء	
٦	٣١٣	١٣٢
١٦	٣٣١	١٣٧
٣٠	١٣٥	٤٨
٣١	١٣٥	٤٨
٣٧	٣١٨	١٣٣
٤١	٢٢٧	٧٧
٨٩	٢٨٢	١٠٩
٢٠٢	٢٧٢	٩١
٢٠٦	٥٩	٣٢
	سورة النمل	
٧	٩	٢٠
٨		
١٣	١٧٣	٥٧
١٨	٢٩٣	١٢٢
٢١	٢٨٠	١٠٧
٢٢	٢٦١	٨٨
٣٦	٢٦٢	٨٨
٤٢	٢٦٣	٨٨
٨٤	٢١٩	٦٦
٨٧	٣	١٨
٨٩	٢٣٦	٨١
٩٠		
	سورة القصص	
٢٠	٢٨٧	١١٥
٢٥	٢٣٢	٧٩
٣٠	١١	٢٠
٣٦	١٣٦	٤٨
٣٧		
٤٦	١٤	٢١
٤٨	١٩٨	٦٢
٨٤	٢٣٧	٨١

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
٨٥	١٤٨	٥٠
	سورة العنكبوت	
٥	٣٤٣	١٣٩
١٠	٢٣٩	٨١ ، ٨٢
٢٩	٣٣٦	١٣٨
٣١	١٠٤	٤٢
٣٣	١٠٥	٤٢
٣٩	١٣٧	٤٨
٥٣	٥٨	٣٢
٦٨	١٩٩	٦٢
	سورة الروم	
٩	١٢٩	٤٧
٤٧	١٣٠	٤٧
٥٨	١٤٣	٤٩
	سورة السجدة	
٣	١٥	٢٢
	سورة الأحزاب	
٩	٢٦٨	٨٩
١٠		
١٩	٥٤	٣١

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
	سورة سبأ	
٣٢	١٨٦	٦٠
٤٣	٢٠٠	٦٢
٤٩	٢٠١	٦٣
	سورة فاطر	
١٦	٢٧٧	٩٨
٢٥	١٣١	٤٨
٣٧	١١٤	٤٥
٤٢	١١٥	٤٥
٤٥	٦٩	٣٣
	سورة يس	
١٣	١١٢	٤٤
٢٠	٢٨٨	١١٥
	سورة الصافات	
٣٧	١٤٩	٥٠
٨٤	٢٨٣	١٠٩
	سورة ص	
٤	١٠٦	٤٣
٢١	٩٢	٣٨
	سورة الزمر	
٢٥	٢٧٠	٩٠

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
٣٢	١٩٠	٦١
٣٣	١٥٠	٥٠
٥٥	٢٧٣	٩١
٥٩	١٧٧	٥٨
٦٩	٢١	٢٤
٧١	٢٥٠	٨٦، ٨٧
٧٣	٢٥١	٨٧
	سورة غافر	
٢٥	١٥١	٥٠
٢٨	١٣٨	٤٨
٢٩	٥٧	٣١
٣٤	١٤٢	٤٩
٣٥	١٢	٢١
٥٦	١٣	٢١
٥٩	٣٤١	١٣٩
٦٦	١٦٦	٥٦
٧٨	٥١	٣١
٨٣	١٣٢	٤٨
	سورة فصلت	
١١	٢	١٧
١٤	١١٨	٤٥
٢٠	٢٥٢	٨٧
٤١	١٨٣	٥٩
٤٢	٣١١	١٣١

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
	سورة الشورى	
١٤	٢١٥	٦٥
	سورة الزخرف	
٢٤	١٥٢	٥٠
٢٩	٢٠٢	٦٣
٣٠		
٣٨	٢٢٠	٦٦
٤٧	١٣٩	٤٨
٥٣	٣٤	٢٨
٦٣	١٤١	٤٩
٦٦	٢٧٤	٩١
٧٨	٩٦	٣٩
	سورة الدخان	
١٠	٣١٩	١٣٣
١٣	١١٣	٤٤
١٧		
١٩	٣٤٥	١٤٠
	سورة الجاثية	
١٧	٢١٦	٦٥
	سورة الأحقاف	
٧	٢٠٣	٦٣
٢٢	٧٩	٣٥

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
	سورة محمد ﷺ	
١٨	٤٠	٢٩
	سورة الحجرات	
٦	٢٧	٢٦
	سورة ق	
٢	١٠٧	٤٣
٥	٢٠٤	٦٣
١٩	٦٤	٣٣
٢١	٢٥٣	٨٧
٣٣	٢٨٤	١٠٩
	سورة الذاريات	
٢٤	٨٩	٣٧
٢٦	٢٦٧	٨٩
٤٢	٢٩٤	١٢٢
٥٢	١٥٩	٥٤
	سورة النجم	
٢٣	١٨٧	٦٠
	سورة القمر	
٤	٩٤	٣٩
٤١	١١٦	٤٥

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
	سورة الحديد	
١٤	٥٢	٣١
	سورة المجادلة	
٨	٢٤	٢٥
	سورة الحشر	
٢	٧	١٩
١٠	٢٤٤	٨٤
	سورة الممتحنة	
١	٢٠٥	٦٣
١٠	١٦	٢٢
١٢	١٧	٢٣
	سورة الصف	
٦	٢٤٨	٨٦
	سورة المنافقون	
١	٢٨	٢٦
١١	٧٠	٣٣
	سورة التغابن	
٥	٣١٤	١٣٢

رقم الآية	رقم الشاهد	الصفحة
	سورة الملك	
٩	١١٧	٤٥
	سورة الحاقة	
٩	٣٠٤	١٢٦
	سورة نوح	
٤	٧١	٣٣
	سورة المدثر	
٤٧	٢٣٣	٨٠
	سورة الإنسان	
١	٢٩٥	١٢٢
	سورة النبأ	
١٨	٣٢٠	١٣٣
	سورة النازعات	
١٥	٨٨	٣٧
٣٤	٤١	٢٩
	سورة عبس	
٢	٢٥٩	٨٨
٨	٢٦٠	٨٨
٣٣	٤٢	٣٠
	سورة الغاشية	
١	٩١	٣٧
	سورة الفجر	
٢٢	٩٨	٤٠
٢٣	٢٠	٢٤
	سورة البروج	
١٧	٩٠	٣٧
	سورة البينة	
٤	١٧٢	٥٧
	سورة النصر	
١	٢٤٠	٨٢

دليل المصـــادر والمراجـــع

١ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـ للرافعى ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت .
٢ - الأفعال ـ لابن القطاع ـ عالم الكتب .
٣ - الأفعال للسرقسطى ق د/ حسين شرف ، د/ مهدى علام ـ المطابع الأميرية .
٤ - الألفاظ المترادفة ـ للرمانى ـ طبعة ثانية . المطبعة المحمدية التجارية بمصر .
٥ - البحر المحيط ـ لأبى حيان ـ دار الفكر ـ بيروت .
٦ - البرهان فى علوم القرآن للزركشى ق أبى الفضل إبراهيم ـ عيسى البابى الحلبى ـ أولى .
٧ - بصائر ذوى التنوير فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزأبادى ـ المكتبة العلمية ـ بيروت .
٨ - بيان إعجاز القرآن للخطابى . ضمن ثلاث رسائل ـ دار المعارف بمصر ـ ثالثة .
٩ - تاريخ الأمم والملوك للطبرى ـ دار الفكر .
١٠ - التفسير البيانى للقرآن الكريم ـ بنت الشاطىء ـ دار المعارف .
١١ - جامع البيان ـ للطبرى ـ البابى الحلبى ـ ثالثة .
١٢ - الجامع الصحيح (سنن الترمذى) ـ دار الفكر .
١٣ - الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبى ـ مطبعة دار الشعب ـ أولى .
١٤ - الخصائص لابن جنى ق الشيخ محمد النجار ـ المهدى للطباعة ـ ثانية .
١٥ - درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافى .
١٦ - ديوان الفرزدق ـ دار بيروت للطباعة والنشر .
١٧ - الصحاح للجوهرى ق أحمد العطار ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .
١٨ - الفروق فى اللغة ـ لأبى هلال العسكرى ـ الآفاق الجديدة ـ بيروت .
١٩ - القادسية ومعارك العراق (سلسلة معارك الإسلام الفاصلة) محمد أحمد باشميل ـ الكتاب الرابع عشر ـ مكتبة دار التراث .
٢٠ - الكامل فى التاريخ ـ لابن الأثير ق أبى الفداء عبد الله ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٢١ - لسان العرب لابن منظور ـ دار المعارف ـ أولى .
٢٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقى ـ دار الدعوة .
٢٣ - معالم فى الطريق ـ للمرحوم الشيخ سيد قطب ـ دار المعرفة .
٢٤ - المفردات فى غريب القرآن ـ للراغب الأصفهانى ق محمد كيلانى ـ مصطفى الحلبى .
٢٥ - مقاييس اللغة لابن فارس ق عبد السلام هارون ـ طبعة ثالثة ـ الخانجى .
٢٦ - نظم الدرر فى تناسب الآى والسور ـ برهان الدين البقاعى ـ أولى ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ١٣٨٩ هـ .
٢٧ - النهاية فى غريب الحديث والأثر ـ لابن الأثير ـ ق طاهر الزادى ، محمود الطناحى ـ المكتبة العلمية ـ بيروت .
٢٨ - (من المخطوطات) أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط (إن وإذا ولو) ـ ومواقعه فى القرآن الكريم ـ رسالة دكتوراه للمؤلف ـ مخطوطة ـ بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة .

الفهرس العـــام

صفحة

مقـــــدمة ٣

مدخل : اتجاه الدراسة وغايتها ٥

المعانى اللغوية لمادة الكلمتين (أتى - جاء) ١٢

« المبحث الأول » : سهولة الإتيان وصعوبة المجيء ١٥

سهولة الإتيان : ١٧

شواهد ذلك ، آيات قصة موسى عليه السلام ودلالتها على ذلك ٢٠

صعوبة المجيء وشواهده ٢٢

تساوق الفعل مع المقام والسياق وشواهده ٣٥

قد تكون صعوبة المجيء غير راجعة إلى الحركة وشواهد ذلك ٤٣

صعوبة المجيء ومعنى الإلجاء ٦٥

« المبحث الثانى » : المجيء عن دعوة وتوقع والإتيان دون دعوة ٦٩

دقة المسلك إلى فقه وجه الإتيان بالفعل (أتى) مع وجود طلب ٧٦

آيات قصة موسى عليه السلام ووضوح دلالتها على أن المجيء عن دعوة دون الإتيان ٧٧

السياق ودلالته على انتظار المجيء ٨٣

الفرق بين نفى المجيء ونفى الإتيان ٩٣

« المبحث الثالث » : الدلالة على النفاذ بالإتيان دون المجيء ٩٥

أدلة ذلك من اللغة ٩٥

شواهد القرآن الكريم ٩٥

آيات قصة موسى عليه السلام ودلالتها على ذلك ٩٨

الشواهد القرآنية وزيادة تأكيدها لذلك ١٠٠

« المبحث الرابع » : المعانى التى لها مزيد اختصاص بأحد الفعلين ١١١

(جاء) ودلالتها على الحركة ١١٣

تنوع هذه الدلالة تبعاً للسياق وشواهد ذلك ١٢٠

(أتى) بمعنى (مر) وشواهد ذلك ١٢١

(أتى) بمعنى (أهلك) وشواهد ذلك ١٢٢

(أتى وجاء) بمعنى (فعل) وشواهد ذلك ١٢٣

« المبحث الخامس » : الإتيان بالمضارع والأمر والمشتقات من (أتى) ١٢٧

مجيء المضارع من (أتى) والوجه فى ذلك وشواهد عليه ١٢٩

بروز معانى فى المضارع مع معنى التسهل ١٣٠

مجيء الأمر من (أتى) والوجه فى ذلك وشواهده ١٣٤

مجيء المشتقات من (أتى) ١٣٨

خاتمة ١٤١

فهرس الشواهد ١٤٢

دليل المصادر والمراجع ١٥٢

الفهرس العام ١٥٣

رقم الإيداع : ١٥٠١٩ / ٩٧
I.S.B.N. 977 - 19 - 5040 - 1